

حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام

دراسة قرآنية مقارنة

تأليف
الشيخ نبيل الحسني

٣٦

بسم الله الرحمن الرحیم

حركه التاريخ وسننه عند على وفاطمه عليهما السلام

كاتب:

نبيل قدورى الحسنى

نشرت فى الطباعة:

العتبه الحسينيه المقدسه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

حركه التاريخ وسننه عند على وفاطمه عليهما السلام

اشاره

رقم الإيداع فی دار الكتب والوثائق وزاره الثقافه ١٠٨٢

لسنه ٢٠٠٩ م

الحسنی، نبيل، ١٩٦٥ – م.

حركه التاريخ وسننه عند علی وفاطمه عليهما السلام / تأليف نبيل الحسنی. - كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه، ١٤٣٠ق. = ٢٠٠٩م.

ص ١٦٠. – (قسم الشؤون الفكريه والثقافيه فی العتبه الحسينيه المقدسه؛ ٣٦).

المصادر : ص. ١٥١ – ١٥٥؛ وكذلك فی الحاشيه.

١. التاريخ (كلام) وعلی بن أبی طالب (ع)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجره – ٤٠ ق. – دراسه وتحقيق. ٢.التاريخ (كلام) وفاطمه الزهراء (س)، ٨؟ قبل الهجره – ١١ ق. – دراسه وتحقيق. ٣ . التاريخ (كلام) – من ناحيه القرآنيه . ٤ . فاطمه الزهراء (س)، ٨ قبل الهجره – ١١ق. – خطب – نقد وتفسير. ألف. عنوان.

٥ح ٢ت / ٠٩ / ٣٨ BP

تمت الفهرسه فی مكتبه العتبه الحسينيه المقدسه قبل النشر

ص: ١

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

حركه التاريخ وسننه

عند على وفاطمه عليهما السلام

تأليف

السيد نبيل الحسنى

إصدار

قسم الشؤون الفكريه والثقافيه

فى العتبه الحسينيه المقدسه

شعبه الدراسات و البحوث الاسلاميه

الطبعه الأولى

۱۴۳۰ه ۲۰۰۹م

العراق: كربلاء المقدسه - العتبه الحسينيه المقدسه

قسم الشؤون الفكريه والثقافيه - هاتف: ۳۲۶۴۹۹

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) الْحَمْـدُ للّـهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ (٢) الرَّحْمـنِ الرَّحِيم (٣) مَـلِ‘كِ يَوْم الـدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُـدُ وإِيَّاكَ نَسْـتَعِينُ (٥) اهـدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ (٧)

الإهداء

إلى روح النبى الأعظم صلى الله علیه وآله وسلم وقلبه ومهجته فاطمه علیها السلام.

إلى بضعته ونور عینه.

إلى من أزالت البُهم عن سنن الأولین.

وكشفت عن حركه تاریخ الآخرین.

إلى من شخّصت المضلّین ودلّت على الغاوین وأشارت إلى المبطلین.

إلى من أوضحت الطریق للسالكین وأنارت السبیل للقاصدین.

إلى من كافحت وجاهدت ودافعت عن شریعه سید المرسلین.

فمضت شهیده لرب العالمین.

أهدی كتابی هذا...

مقدمه الكتاب

«الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها وتفاوت عن الإدراك أبدها»(۱).

والصلاه والسلام على خير الأنام وكاشف الظلام وعلى آله الهداه إلى الإسلام وسلم تسليماً كثيرا.

وبعد:

فإن من عوامل رقيّ الأمه ودوام نهضتها ونشر حضارتها هو الإحاطه بحركه تاريخها والتسلط على كوامن أخبارها والتأمل بحوادث أسلافها والتوقف عند أفعالها وفهم أحوالها وإدراك معاني أقوالها ودراسه سلوكياتها.

كما أن بناء الأمه لا يقوم إلا بمنهاج الاعتبار من سنن تاريخها وتجنب الوقوع فى فخاخ فتنها والاقتداء بأخيارها وتشخيص فجارها ونبذ سلوك أشرارها.

عند ذلك سيكتب لها البقاء وسيعم على أجيالها الرخاء ويقيهم كيد الأعداء؛ بل إن ذلك سيجعل للحضاره دلاله على التحضر وطريقاً إلى التمدن.

۱- هذا ما ابتدأت به بضعه النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم خطبتها الاحتجاجيه التى ألقتها فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى مجمع من المهاجرين والأنصار.

وما ينال ذلك إلا بالسفر إلى معين المعرفه، ومنهل العلوم المختلفه، ومورد الظمآن لمعرفه مكامن الحكمه والتجلبب بجلباب العزه، وهما القرآن والعتره.

فإليهما شددنا الرحال وفى باحه عزهما ألقينا عن ظهورنا أثقال الجهل وفككنا أزرار مدارك الفهم صامتين مستمعين متأملين ومفكرين وللمزيد من فضلهم ملتمسين ((وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ))(۱)، فما خاب ظننا ولا أخطأنا فى وجهتنا بل قادنا اليقين وأخذ بحجزتنا العقل والقلب والدين؛ فمن شأن الكريم الإعاده ومن شيمه الجواد البذل والزياده.

فمنّوا علينا بهذه المباحث، ولاسيما بضعه الهادى الأمين وسيده نساء العالمين فاطمه وحسبى بها كرماً وهى أم رحمه الله للعالمين.

ناهيك عن جود ابن عمها وباب مدينه علم أبيها على أمير المؤمنين عليه السلام فقد أغرقنا بفضله ومنّ علينا بلطفه كما منّ سليمان على شيعته إذ قال له ربه:

((هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) (۲).

فمن القرآن والنبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كانت بدايه بحثنا وعند على وفاطمه كان مستقرنا ومستودعنا لنضع بين يدى القارئ الكريم هذا الكتاب.

السيد نبيل قدورى حسن الحسنى

يوم عيد الأضحى لسنه ۱۴۲۹ه

۹ / ۱۲ / ۲۰۰۸م

۱- سوره يوسف، الآيه: ۶۵.

۲- سوره ص، الآيه: ۳۹.

الفصل الأول: حركه التاريخ عند العرب قبل الإسلام

اشاره

المبحث الأول: معنى التاريخ والخبر

المسأله الأولى: المعنى اللغوى للتاريخ

وردت لفظه (التاريخ) فى كتب اللغه بمعنى: الوقت.

قال ابن دريد: «ورَّخت الكتاب وأرخته، ومتى أرِّخ كتابك، ووُرِّخ أى متى كتب»(١).

وقال ابن منظور:

«التاريخ والتوريخ: تعريف الوقت، أرَّخ الكتاب ليوم كذا: وقّته»(٢).

وقال الجواليقى:

«إنّ اللفظه ليست عربيه محضه وإنّ المسلمين أخذوها من أهل الكتاب»(٣).

وقيل: «إنها عربيه. وقيل: هى أكديه وبابليه ووردت بصيغه (أرخ) (Arah) (أرخا) (Arha) أرخو (Arhu) ورخو (Warhu) وتعنى (القمر) (الهلال) (الشهر) (أول الشهر)»(٤).

١- جمهره اللغه لابن دريد: ج ٢، ص ٢٦٦.
٢- لسان العرب لابن منظور: ماده أرخ.
٣- المعرب: باب التاء، ص ١٣٧.
٤- دراسه مصادر السيره النبويه لسامى البدرى: ص ٢١.

المسأله الثانیه: معنی الخبر ومتی استعمل؟

قالوا فی اللغه: «الخبر: محرکه: النبأ، هکـذا فی المحکم. وفی التهـذیب: الخبر ما أتاک من نبإ عمن تسـتخبر، وظاهره بل صـریحه انهما مترادفان.

وقالوا: «الخبر عرفاً ولغه ما ینقل عن الآخرین، وزاد فیه أهل العربیه: واحتمل الصـدق والکـذب لـذاته»(۱). وقد استعمله أهل علم الحـدیث بمعنی: «الحـدیث، والحـدیث: مـا عـن النـبی صـلی الله علیـه وآلـه وسـلم. والخـبر: مـا عـن غیره وقـال جمـاعه من أهل الاصطلاح: الخبر أعم، والأثر هو الذی یعبر به عن غیر الحدیث»(۲).

وقالوا: «إنّ کلمه (خبر) التی استعملها العرب فی صدر الإسلام لمعنی التاریخ لها فی اللغات السامیه قصه طویله، منها معنی: الربط والتقییـد؛ وفیها من خلال کلمه خبر، معنی: البحث والفحص، ومعنی الأخبار أیضا. وقد تأخرت کلمه تأریخ حتی ظهرت وفشت علی الأقلام الإسـلامیه؛ ولئن اضـطربت تفاسـیر اللغویین لأصل هذه الکلمه وشـکوا فی عروبتها حتی أعطوها أصـلا فارسـیا: (ماه روز) قـالوا إنها حرفت عنه، والأرجـح أن جـذورها (ورخ) هو جـذر سامی ولکنه مأخوذ من لغه الیمن الجنوبیه، ولیس عن کلمه «یرج» أو «یاریح» العبریه، أو السریانیه، کما وردت فی الموسوعه الإسلامیه، ومعناها الأول هناک هو القمر أو الشهر»(۳).

«وإذا کانت کلمه تاریخ، تحمل فی العربیه منذ زمن بعید خمسه من المعانی علی الأقل هی:

۱- تاج العروس، الزبیدی: ج۶، ص۳۲۵.

۲- المصدر السابق.

۳- التاریخ العربی والمؤرخون، شاکر مصطفی: ج۱، ص۴۹ - ۵۰.

١. سير الزمن والأحداث أى التطور التاريخى، تقابل كلمه (The History of...) وتعنى ما يفهم من كلمه التاريخ الإسلامى أو تاريخ إيطاليا.

٢. تاريخ الرجال أو ما يقابل (The Biography).

٣. عمليه التدوين التاريخى، أو التأريخ ووصف التطور وتحليله، وهى التى تقابل كلمه (Historiography).

٤. علم التاريخ والمعرفه به، وكتب التاريخ وما فيها، وهو ما يقابل كلمه (The History) المفرده(١).

٥ تحديد زمن الواقعه أو الحادث باليوم والشهر والسنه (The date).

إذا كان ذلك، فقد مرت هذه الكلمه بأطوار عده، قبل أن تستقى فيها تلك المعانى، وتحملها فى الإسلام. ولذا فقد وضعوا أى المختصون للتاريخ تعاريف مختلفه ومتعدده، ونظروا له من زوايا مختلفه أيضا، فهناك التصورات العامه للتاريخ، وهناك التصورات الدينيه (كالزرادشتيه، واليهوديه، والإسلام، والمسيحيه)، وهناك المعالجات المثاليه للتاريخ والتى نشأت فى القرن التاسع عشر وما بعده.. إلى غير ذلك.

لكننا نستخلص من جميع المعالجات والدراسات التى تناولت (التاريخ) بأننا نستطيع أن نضع للتاريخ ثلاثه تعاريف(٢) وكل واحد منها يمثل جزءا أو علما من علوم التاريخ، وبين هذه العلوم تقوم علاقات وثيقه»(٣).

١- قال الدورى: يمكن أن نضيف معنى سادسا استمر فتره حسنه خلال التاريخ الإسلامى، وكانت كلمه تاريخ تستعمل فيها بمعنى تراث القوم، وتمثيل الشمائل الأساسيه فيهم وكانوا يقولون: فلان تاريخ قومه. (نشأه علم التاريخ، لعبد العزيز الدورى: ص١٣.

٢- وردت هكذا فى المصدر والصحيح تعريفات.

٣- التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ٤٩ ٥١.

المبحث الثانی: علوم التاریخ وموضوعه

المسأله الأولی: علوم التاریخ

اشاره

یمکن لنـا الإحاطه بعلوم التاریـخ من خلال التعرف علی أقوال المختصـین فی وضـعهم بعض التعریفات المنبثقه من مفاهیم ثلاثه للتاریخ، وقد أشارت إحدی الدراسات التاریخیه إلی تعریف التاریخ حسب هذه المفاهیم بقولها:

المفهوم الأول

«التاریخ هو العلم بالأحداث، والوقائع، والأوضاع، وأحوال البشـر الکائنه فی زمن الماضی، هذه الوقائع والأحداث والأوضاع التی هی فی الواقع أحداث یومیه صارت جزءا من التاریخ لمرور الزمن علیها.

التاریخ بهذا المفهوم، هو العلم بالأحداث، والأوضاع الماضـیه، وأحوال الماضی، والکتابه والتألیف فی مثل هذا النوع من التاریخ مشهور بین جمیع الشعوب والأمم»(۱).

وعلی ضوء هذا المفهوم یجمع التاریخ الاختصاصات الآتیه:

١ . الحولیات، وهی تاریخ الحوادث سنه بسنه وسردها کتاریخ الطبری.

٢ . تاریخ الطبقات تبعاً للمذهب أو الاتجاه مثل طبقات الشافعیه أو طبقات الحنابله... .

٣ . تاریخ الحکماء ویشمل تاریخ العلماء والأدباء والفلاسفه والأطباء، والمفسرین... .

١- النظریه القرآنیه لتفسیر حرکه التاریخ لحسن سلمان: ص ٢١.

۴ . تاریخ المصنفات التی تؤرخ للتراث ابتداءً من المؤلفات نفسها، من مثل کتاب الفهرست لابن الندیم.

۵ . تاریخ العلوم: وفیه یتم تصنیف العلوم وذکر أهم موضوعات العلم ومصنفاته، مثل کتاب (مفاتیح العلوم للسکاکی).

۶ . تاریخ المصطلحات العلمیه التی ترصد أهم الألفاظ والمصطلحات المستعمله فی التراث القدیم کله بجمیع علومه مثل (التعریفات للجرجانی).

۷ . تاریخ الحضارات والأمم: ویتم فیه رصد أعلام کل أمه وأسماء مؤلفیها وطبائعها وأمزجتها وإبداعاتها وآثارها وإسهاماتها فی التاریخ البشری من مثل کتاب (طبقات الأمم لصاعد الأندلسی) (۱).

المفهوم الثانی: التاریخ العلمی

«وهو العلم بالقواعد والقوانین والسنن المهیمنه علی الحیاه الماضیه، وهذا یأتی من دراسه الأحداث والوقائع الماضیه وتحلیلها، وتشکل مسائل (التاریخ النقلی) المواد الأولیه لهذا العلم.

هذا الجانب من التاریخ العلمی وإن کانت مواده الأولیه ترتبط بالماضی، لکنه یستهدف اکتشاف القواعد والقوانین التی یمکن تعمیمها علی الحاضر والمستقبل.

وهذا الهدف یجعل التاریخ مقیدا جدا، ویجعل منه مصدرا من مصادر المعرفه الإنسانیه»(۲).

۱- النظریه القرآنیه لتفسیر حرکه التاریخ لحسن سلمان: ص ۲۲ - ۲۵.

۲- النظریه القرآنیه لتفسیر حرکه التاریخ: ص ۳۰.

المفهوم الثالث: فلسفه التاريخ

«إن التاريخ العلمی يرتبط بنوع آخر من التعاريف التی وضعت فی مجال تفسير الحركه التاريخيه، وكثيرا ما يحدث تداخل بين الاثنين.

ذلك هو ما يطلق عليه (فلسفه التاريخ).

إن «الفيلسوف» لا«المؤرخ» هو الذی «يجعل فلسفه التاريخ» موضوع تحدياته.

ومع ذلك، فالفيلسوف يلتزم ويعتمد علی ما يقوله، وما يقدمه «المؤرخ» عن التاريخ كشیء ملموس كما يلتزم به كروايه أو حدث اجتماعی»(١).

المسأله الثانيه: موضوع التاريخ «التاريخ هو الماضی الحاضر»

المسأله الثانيه: موضوع التاريخ «التاريخ هو الماضی الحاضر»(٢)

يدور مدار التاريخ حول الحادثه التی وقعت فی الماضی، ولأن هذه الحادثه موضع اهتمام الإنسان سواء أكان هدفه منها الروايه والنقل لأبناء زمانه والأجيال اللاحقه أم الاعتبار والتحليل والتأسيس لحياه أفضل تتجنب عوامل السقوط والانهيار.

ولذا، قالوا: «إنّ التاريخ هو الماضی الحاضر، أی: أن مجموع عوارض الماضی حاضره بأخبارها (آثارها) وفحص تلك الأخبار عمليه تنجز دائما فی الحاضر، والتاريخ حاضر بمعنيين:

أولاً: بشواهده، وثانياً: فی ذهن المؤرخ»(٣).

١- النظريه القرآنيه لتفسير حركه التاريخ لحسن سلمان: ص ٣٥.

٢- مفهوم التاريخ لعبد الله العروی: ص ٣٨.

٣- المصدر السابق.

أي: من خلال الشاهده التاريخيه تكوّن فى ذهن المؤرخ تاريخ متجدد، ولذا فهو حاضر معه فأصبح يدور بين مقارنه الماضى بالحاضر والحاضر بالماضى.

من هنا:

كانت معرفه الماضى نسبيه وعمليه، فهى نسبيه لأنها تستجيب لمتطلبات الوضع القائم؛ وهى عمليه لأنها تجيب عن أسئله حاليه. ومنهما أى من المعرفه النسبيه والعمليه كان موضوع التاريخ هو: «التاريخ هو الماضى الحاضر».

فى حين ذهب البعض إلى ان مقوله «التاريخ هو الماضى الحاضر». تعنى: «أن الماضى التاريخى هو عالم ذهنى، يستنبط فى كل لحظه من الآثار القائمه.

أو بعباره أخرى: موضوع التاريخ هو الماضى الذى هو حاضر، المقصود هنا ليس تمام الماضى، وإنما الماضى التاريخى، أو ما سميناه بالتاريخ المحفوظ؛ فهل يمكن أن يكون غير حاضر فى الذهن، فى الكلام، فى الأشياء... الخ»(١).

ينتج عن هذا التحليل: «أن الكلام على أحوال الماضى هو نوع من المشاهده، إذ لم يبق من الماضى إلا الأخبار الداله عليه والمعاصره لنا؛ إن التاريخ هو مجال الاستنباط، إذ المؤرخ يحمل فى ذهنه كل الأخبار عن الماضى المحفوظ فيستطيع أن يقارن بينها ويستخلص منها قوانين وعبرا، خلاصه بديهيه قال بها جلّ المؤرخين القدامى الذين جعلوا من التاريخ مدرسه أخلاق وسياسه»(٢).

إذن: موضوع التاريخ هو استخلاص القوانين والعبر من أحداث وآثار الماضى، وهو بهذا يكون، أى التاريخ مدرسه الأخلاق والسياسه.

١- مفهوم التاريخ لعبد الله العروى: ص ٣٩.

٢- المصدر السابق.

المسأله الثالثه: علم التاريخ عند العرب

فی خضم هـذه التعريفات حول التاريخ، من حيث الاصـطلاح والمعنی العام، والخاص، والمفهوم، والحركه التاريخيه، ما هو علم التاريخ عند العرب؟.

«يكوّن علم التاريـخ عنـد العرب جزءاً من التطور الثقـافی العـام، وصـلته بعلم الحـديث وبالأدب بصوره خـاصه وثيقه، وتسـتحق اهتماما خاصا، ثم إن ظهور الإسـلام، وتكوين الإمبراطوريه، والتصادم بين الآراء والتيارات الحضاريه، وتطور الأمه وخبراتها، هذه كلّها حيويه لفهم التطورات الأولی للكتابه التاريخيه.

ومع أن علم التاريخ عند العرب ظهر فی صدر الإسلام، إلا أن الاستمرار الثقافی يوجب الالتفات إلی تراث ما قبل الإسلام»(۱).

«وقد بدأت كلمه التاريخ مسيرتها أولا بمعنی التقويم والتوقيت فی صدر الإسلام الأول، وبعد أن استعملت الكلمه فتره من الوقت بهذا المعنی، كسبت معنی آخر هو تسجيل الأحداث علی أساس الزمن.

وكـان يقوم مقامهـا فی معنی هـذه العمليه التـاريخيه: كلمه خبر، وأخبار، وإخباری، ثم بـدأت كلمه تاريـخ تحل بالتدريـج محل كلمه خبر وأخذت تطلق علی عمليه التدوين التاريخی، وعلی حفظ الأخبار بشـكل متسلسل متصل الزمن والموضوع للدلاله علی هذا النوع الجديد من التطور فی الخبر والعمليه الإخباريه.

وكـان ذلك علی ما يبـدو منـذ أواسط القرن الثانی للهجره، فما أن أطل القرن الثالث حتی صارت كلمه التاريـخ تطلق علی العلم بأحداث التاريخ وأخباره، وبأخبار الرجال، وعلی الكتب التی تحوی ذلك، وحلت نهائيا محل كلمه

۱- نشأه علم التاريخ عند العرب لعبد العزيز الدوری: ص ۱۳.

الخبر والإخبارى اللتين انحطت قيمتهما العلميه قبل أن تختفيا من الاستعمال فى القرن الرابع(١).

«ولعله من الهامّ أن نلاحظ أن أقدم المؤلفات التى حملت اسم التاريخ كانت كتب أحداث لا تراجم بخلاف الرأى الذى ذكره روزنتال فى هذا الصدد.

فقد كتب عوانه بن الحكم الإخبارى الكوفى المتوفى سنه ١٤٧/٧٦٥ أو ٧٥٨ كتابا عنوانه: كتاب التاريخ، يتناول أحداث التاريخ الإسلامى فى القرن الأول للهجره، وهو أول كتاب نعرفه يحمل اسم هذا العلم فى الإسلام.

ثم كتب هشام بن محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنه ٢٠٤/٨١٩ أيضا كتاب التاريخ وكتابا بعنوان أخبار الخلفاء، وكتب فى الوقت نفسه الهيثم بن عدى المتوفى سنه ٢٠٦/٨٢١ كتاب التاريخ على السنين وكتاب تاريخ الأشراف الكبير، واستقرت من بعد ذلك التسميه وانتشرت واحتلت عناوين العشرات من الكتب فى القرن الثالث للهجره، ويبدو أن كتب التراجم حملت بدورها عنوان التاريخ فى تلك الفتره مع أن بعضها كان يدعى من قبل بالطبقات.

وبالرغم من أن هذه التسميه الأخيره استمرت وانتشرت إلا أن تسميه البخارى (محمد بن إسماعيل) المتوفى سنه ٢٥٦ لكتابه عن رجال الحديث باسم (التاريخ) تمثل مزجا نهائيا ما بين علم التراجم والأحداث فى علم واحد»(٢).

١- التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ٥١، ٥٢.

٢- المصدر السابق.

الفصل الثانی: دور القرآن فی حرکه التاریخ وسننه

اشاره

بعد أن أخذت حركه التاريخ عند العرب شكلها الذى مرّ بيانه والذى هو عباره عن ذكر أحوال الماضين فى الأنديه المكيه بأسلوب قصصى عرف باسم (الأيام)؛ يضاف إليه اهتمامهم بالأنساب وتفاخرهم بها، مع ما أفضته ثقافه أهل الجنوب والشمال على هذه الحركه للتاريخ جاء الإسلام ممثلاـ بالقرآن ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما ورد عنهما من مفاهيم حديثه وخاصه بالتاريخ وحركته ودوره وعلاقته بالإنسان والطبيعه والعقيده، فأعطى منهجا جديدا لهذا العلم، ودفعا حيويا وفعالاً للحركه التاريخيه عند العرب ولاسيما أهل مكه.

ويمكن فهم دور القرآن فى حركه التاريخ وتطويره من خلال المسائل الآتيه:

المبحث الأول: نظره القرآن إلى الماضى

لقد جاء القرآن «بنظره جديّه إلى الماضى، وأشار إلى أن ذكريات العرب الماضيه محدوده، وعاد إلى بدء الخليقه. وأكد القرآن على أمثله التاريخ الغابر وعظاته، وذكر حوادث الأمم والشعوب السالفه؛ للتأكيد على العبر الدينيه والخلقيه التى تنطوى عليها»(۱).

۱- نشأه علم التاريخ للدورى: ص ۱۷.

«وقد تحدث القرآن الكريم كثيرا عن أساطير الأولين ولا يعنى ذلك الأسطوره الخرافيه ولكن ما هو مسطور مكتوب لدى الناس، أى ليس بجديد ولكنه مؤرخ معروف من قبل، وهذا يعنى أن الجاهليين قد أدركوا ما فى القرآن من صله مع الفكر الدينى السابق وما يملأ الجو القرآنى بوضوح منه وأنه يروى قصصا وأمورا تاريخيه لها كتبها وذكرها المسطور.

كما أن القرآن استطاع أن ينتزع العرب من الإطار القبلى، ومن الجو الوثنى ولهذا استخف بالأنساب وبقصص الأيام وبمثل الجاهليه وبدلهم منها جوا ثقافيا آخر ربطهم بسلسله التاريخ الوجدانى للبشريه، أى أعطاهم بعدا زمنيا جديدا قوامه التاريخ الماضى كله، من خلال سلسله الأنبياء عليهم السلام المتماديه منذ مبدأ الخلق»(۱).

ولذا:

نجد القرآن الكريم قد دعا إلى التفكير فى أحداث التاريخ، «من خلال استعمال المشاهده، وتحكيم العقل معا، لتكوين العقيده، فدعم المدركات العقليه بالشواهد الحسّيه، ودعا إلى استكشاف أسرار الخليقه، ومعرفه سنن الاجتماع الإنسانى فى التطور، وتدبر أحداث الكون.

فالقرآن يعرض صور الحياه، وأحداثها التى جرت على الأمم السابقه ويستخلص منها العبر والحكم ويحذّر الناس أن يقعوا فيما وقعت فيه تلك الأمم، من طغيان مالى، أو استبداد سياسى، وتكذيب وجحود، وعصيان وفسوق، فحاق بهم العذاب»(۲).

۱- التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ۵۸.

۲- النظريه القرآنيه لتفسير حركه التاريخ لحسن سلمان: ص ۵۳ و ۵۴.

المبحث الثاني: عالميه التاريخ في القرآن الكريم

من المفاهيم التي جاء بها القرآن الكريم والمتعلقه بنظرته للتاريخ هو مفهوم العالميه، وهذا يعني أن القرآن لم يجعل العرب كأمه محصوره ضمن حدودها الجغرافيه، والتي تكوّن لها ماضيها المحصور في قصص الأيام وبيوتها القبليه، بل نقلهم إلى حضارات متعدده وأطلعهم على ثقافات متنوعه.

ثم إنه لم يكتف بذلك بل أراد منهم أن يتصدوا لرياده المناصب المتقدمه في صياغه حضارات الأمم السابقه وتطويرها ودفعها، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بموقع الشهوديه والوسيطه التي رجع إليها في التزود بعوامل الرقي والتقدم الإنساني والمجتمعاتي.

أ . قال تعالى:

((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا))(١).

هذه العالميه للتاريخ التي جاء بها القرآن انعكست على نمط كثير من المسلمين وسلوكياتهم في اكتسابهم للعلوم وحركتهم العالميه فيما بعد.

لكن الحافز والدافع لرياده هذا الموقع العالمي كان من خلال نظره القرآن لعالميه التاريخ وربط أمه الإسلام بجميع الحضارات السابقه.

وقد تمثلت هذه النظره القرآنيه إلى عالميه التاريخ من خلال توالي النبوّات من آدم عليه السلام إلى الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعرضه لسير هذه

١- سوره البقره، الآيه: ١٤٣.

النبوّات من خلال منهجين أساسين ومؤثرين على النفس الإنسانيه وهما؛ القصص والأمثال.

فأما القصص؛ (فإن العروض القرآنيه للتاريخ وهى تحدثنا عن مواقف الأفراد والجماعات إزاء عدد من الأحداث والقيم التاريخيه والتى قد يمتد بعضها إلى خلق آدم.

ويصل بعضها الآخر إلى عدد من التجارب التى مارسها أفراد عاديون سلبا أو إيجابا، أو نفذها قاده وملوك وزعماء كبار يتضح ذلك بالوقائع الخاصه بفرعون وقارون وذى القرنين وأصحاب الفيل مرورا بسلسله الأنبياء الطويله التى بعثت كل ذلك لكى تجدد الحوار الموعود، منذ عهد آدم بين السماء والأرض، وتسعى بأقوامها إلى صياغه حركه التاريخ بما ينسجم ومركز الإنسان فى الكون.

إن القرآن يبين لنا فى حشد آخر من الآيات الهدف من إيراد القصص، والعروض التاريخيه، وهو الهدف نفسه الذى يمكن أن يتمخض عن أى مطالعه جدّيه ملتزمه لحركه التاريخ)(۱).

ب . وعلى الرغم من أن الغرض من القصص هو الموعظه والاعتبار ((أَفَلَمْ يَرَوْا)) ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ)).

إلاـ أن الرغبه فى معرفه تفاصيل ما أجمله القرآن الكريم من ذلك القصص فتحت بابا من أبواب المعرفه الدينيه دخل منه التاريخ، ودخل كرديف دينى شرعى لعمليات التفسير القرآنى، وإذا كان الكثير من الإسرائيليات قد دخلت عن هذا الطريق إلى التاريخ الإسلامى، كما دخله الكثير

۱- النظريه القرآنيه لتفسير حركه التاريخ لحسن سلمان: ص ۷۳.

من الأخبـار القبليه والأـجنبيه، فأهم من ذلك أن القرآن الكريم منـح بـذلك نظره جديـده إلى الماضـى، كرّسـته كأساس فكرى للعقيده)(۱).

(إن قصـص الأنبيـاء عليهم السـلام من أهم العوامل النفسـيه التى لجأ إليها القرآن، فى الجـدال مع مخالفيه، والتبشـير برضوان الله، والتحـذير من معصيته، وفى شـرح مبادئ الـدعوه الإسـلاميه وأهدافها، وفى تثبيت قلب من اتبع النبى الأكرم صـلى الله عليه وآله وسلم.

كما أن الغايه من قصـص الأنبياء عليهم السـلام أن الـدين كله من عنـد الله من عهـد نوح إلى عهد رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم وأن المؤمنين برسل الله كلهم أمه واحده والله الواحد رب الجميع)(۲).

بمعنى: إنّ القرآن نقـل التاريـخ من محله المحصور ضـمن رقعه جغرافيه محـدوده إلى حضـارات نشأت على مواقع متعـدده وفى أزمنه مختلفه، بـل كـانت هـذه النظره القرآنيه أوسع وأعمق من ذلـك حينمـا نقـل الإنسـان خـارج حـدود الزمان والمكان فربطه بالكون وعواقب الأفعال وتحكم السنن.

((وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّهِ اللَّهِ تَبْدِيلًا))(۳).

وهو ما دلت عليه الكثير من الآيات القرآنيه. قال تعالى:

((إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ))(۴).

۱- التاريخ والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ۶۰.

۲- النظريه القرآنيه لحسن سلمان: ص۷۴، نقلا عن: مع الأنبياء فى القرآن عفيف عبد الفتاح: ص۲۴.

۳- سوره الأحزاب، الآيه: ۶۲ و سوره الفتح، الآيه: ۲۳.

۴- سوره آل عمران، الآيه: ۶۲.

((تِلْکَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْکَ مِنْ أَنْبَائِهَا))(۱).

((فاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَکَّرُونَ))(۲).

((ذَلِکَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْکَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ)) (۳).

((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْکَ هَذَا الْقُرْآنَ)) (۴).

((لَقَدْ کَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَهٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ))(۵).

((وَکُلًّا نَقُصُّ عَلَيْکَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَکَ وَجَاءَکَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَهٌ وَذِکْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ))(۶).

أما منهـج الأمثال الـذی جاء به القرآن الکريم للتعبير عن نظرته العالميه للتاريخ فقد جعل منها ماده خصـبه لنمو الحرکه التاريخيه وشموليتها العالميه منذ آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم من جانب، ومن جانب آخر دفع الفکر الإنسانی إلى أثر هذه الحرکه العالميه للتاريخ فی رسم المسـتقبل القريب والبعيد للأمه الإنسانيه ولاسـيما المسـلمه بصـفتها ((خَيْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ))(۷).

۱- سوره الأعراف، الآيه: ۱۰۱.

۲- سوره الأعراف، الآيه: ۱۷۶.

۳- سوره هود، الآيه: ۱۰۰.

۴- سوره يوسف، الآيه: ۳.

۵- سوره يوسف، الآيه: ۱۱۱.

۶- سوره هود، الآيه: ۱۲۰.

۷- سوره آل عمران، الآيه: ۱۱۰.

كما أن هـذا المنهـج القرآنى أعطى بنيه جديـده لحركه الإنسان فى الحياه الدنيويه والأخرويه، من خلال تحريك البنيويه العقليه ودفعها نحو التفاعل مع القنوات المعرفيه، أى ربط الإنسان بكل ما يدور من حوله كى يرسم حياه كريمه مفعمه بالخير والسلام.

يقول السيد العلامه الطباطبائى:

(تصـريف الأمثـال ردهـا وتكرارهـا وتحويلها من بيان إلى بيان ومن أسـلوب إلى أسلوب غايه ذلكك أن يوضـح لهم سبيل الحق ويمهد لهم طريق الإيمان والشكر)(١).

قال تعالى:

((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً))(٢).

بل يظهر القرآن الكريم انحصار من لا يعتبر بهـذا النهـج القرآنى وهم الكفار، فيتحولون من المحور العالمى إلى المحور الفردى المتقوقع والمهمـل مـن خلال تغليـب الجهـل على العقـل وحجره وعزلـه عن التفكير فى هـذه المناهـل المعرفيه الممثله بالأدله والحجج التى ضمها منهج القرآن عند إيراده للأمثال.

فيعطى صوره واضـحه الملامـح لمسـتقبل هؤلاء وترديهم وانحطاطهم حينما يتولـد عندهم النفور من هذه الحضاره القرآنيه وهذا النهج التعليمى لاكتساب العلوم.

١- تفسير الميزان لمحمد حسين الطباطبائى: ج ١٣، ص ٢٠٢.

٢- سوره الإسراء، الآيه: ٤١.

المبحث الثالث: نظره القرآن للسنن التاريخيه

المسأله الأولى: حقيقه سريان السنن التاريخيه فى الأمم

لا ـ تختلف العلوم التطبيقيه عن الإنسانيه فى الوجود الحياتى، هذا الوجود الذى نشأ وتبلور فيه النهوض على السنن والقوانين الخاصه بتلك العلوم سواء أكانت رياضيه، منطقيه، مجرده عن الحس الوجدانى كونها ماده؛ أم العلوم التى اختلجت فى مكوناتها الوجوديه فى الحس الوجدانى الإنسانى فاقترن بقاؤها ببقاء الإنسان.

والقرآن الكريم حينما يدعو العقل البشرى إلى النظر والتأمل والتفكير فى خلق السموات والأرض والآفاق وما تشابك فى قيامها من سنن وقوانين فيزيائيه ورياضيه وغيرها هو فى نفس الوقت يدعوه إلى النظر والتفكير فى نفسه وخلقه وما ارتبط بينه وبين العوالم السماويه والأرضيه بسنن وقوانين كان المؤثر الأكبر فى تحريكها عمل الإنسان بشقيه الخير والشر.

بمعنى أن هذا العمل محكوم بسنن كونيه قائمه فى الحياه لا ـ تتعدى أحدا من البشر حالها حال السنن الفيزيائيه والمنطقيه الرياضيه، وهو ما قدمه القرآن ضمن عنوان السنن التاريخيه.

قال تعالى:

((قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَهُ الْمُكَذِّبِينَ)) (١).

١- سوره آل عمران، الآيه: ١٣٧.

وقال سبحانه:

((فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّهَ اللَّهِ الَّتِی قَدْ خَلَتْ فِی عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِکَ الْکَافِرُونَ)) (۱).

وقال عز وجل:

((يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَکُمْ وَيَهْدِيَکُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِکُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْکُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَکِيمٌ)) (۲).

وقال عز شأنه:

((سُنَّهَ اللَّهِ فِی الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَکَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا))(۳).

وغيرها من الآيات التی أظهرت آثار السنن التاريخيه فی مسيره الحياه الإنسانيه.

ولقد (تبلورت الفکره القرآنيه للسنن التاريخيه فی عدد کثير من الآيات والمقاطع القرآنيه بأشکال مختلفه وصور متعدده، وألسنه متباينه.

ففی بعض هذه الآيات أعطيت الفکره بشکلها وصياغتها الکليه؛ فيأتی التعبير القرآنی حول الفکره مجملا عاما، وفی بعض الآيات الأخری أعطيت الفکره القرآنيه علی مستوی التطبيق علی المصاديق والنماذج، وفی بعضها الآخر وقع الحث علی الاستقراء والفحص الاستقرائی والتتبع العلمی للشواهد التاريخيه من أجل الوصول إلی القانون التاريخی)(۴).

۱- سوره غافر، الآيه: ۸۵.

۲- سوره النساء، الآيه: ۲۶.

۳- سوره الأحزاب، الآيه: ۳۸.

۴- النظريه القرآنيه لتفسير حرکه التاريخ لحسن سلمان: ص ۸۷.

فكان من بين بنود هذا القانون التاريخى فى القرآن هو عاقبه سلوك التجمعات البشريه التى عبر عنها القرآن ب(الأمه) أو (الأمم) التى كانت قبل أمه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

والغرض فى هذا العرض القرآنى لعاقبه المجتمعات السابقه هو الغرض الإرشادى، بمعنى أن الأفعال الجماعيه والصفات الغالبه على بعض المجتمعات كقتل الأنبياء عليهم السلام وتكذيبهم كما فى بنى إسرائيل؛ واكتفاء الرجال بالرجال كما فى قوم لوط، والإعراض عن الدعوه وعدم الاستجابه للنذير كما فى قوم نوح عليه السلام؛ ونكران الخليفه والوصى واتباع السامرى كما فى قوم موسى عليه السلام وغيرها من الأفعال الجماعيه التى سلكتها الأمم السابقه كلها تعبر عن سنن تاريخيه جرت فى هذه الأمم فأظهرت للمسلمين وغيرهم أن عاقبه هذه الأفعال الجماعيه تكون جماعيه الوقوع.

بمعنى أن العقاب سيقع على الجميع دون استثناء، وإن كان هناك تفاوت فى صدور الأفعال من بعض الناس؛ فالساكت عن الظلم وفاعله سواء، بل أبعد من ذلك الرضا بفعل الظالم اشتراك فى الظلم، كما دلت عليه مجموعه من الآيات. قال تعالى:

((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآَيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)) (۱).

((وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (۴۲) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (۴۳) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)) (۲).

۱- سوره الأنعام، الآيه: ۲۱.

۲- سوره الحج، الآيات: ۴۲ ۴۴.

وقال عز وجل:

((وَکَأَیِّنْ مِنْ قَرْیَهٍ أَمْلَیْتُ لَهَا وَهِیَ ظَالِمَهٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَیَّ الْمَصِیرُ)) (۱).

المسأله الثانیه: تحقق الغرض الإرشادی فی عرض السنن التاریخیه

وقد أظهر القرآن الکریم الغرض الإرشادی فی إیراد السنن التاریخیه التی جرت فی الأمم السابقه فقال تعالی:

((وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ یُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَی وَیَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِیَهُمْ سُنَّهُ الْأَوَّلِینَ أَوْ یَأْتِیَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا))(۲).

وقال عزّ شأنه:

((مَا کَانَ عَلَی النَّبِیِّ مِنْ حَرَجٍ فِیمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّهَ اللَّهِ فِی الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَکَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا))(۳).

وقال سبحانه:

((وَلِکُلِّ أُمَّهٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا یَسْتَأْخِرُونَ سَاعَهً وَلَا یَسْتَقْدِمُونَ)) (۴).

فهنـا: تظهر الآیه الکریمه اشتراک الفرد مع الأمه فی الأجل الواحـد، فی حین أن لکل فرد أجلًا خاصاً به، فما هو سبب اشتراک جمیع أفراد الأمه فی موت واحد ونهایه واحده؟.

۱- سوره الحج، الآیه: ۴۸.

۲- سوره الکهف، الآیه: ۵۵.

۳- سوره الأحزاب، الآیه: ۳۸.

۴- سوره الأعراف، الآیه: ۳۴.

يجيب السـيد محمد باقر الصدر قدس سرّه: (هناك دائما وراء الأجل المحدود المحتوم لكل إنسان بوصفه الفردى، هنالك أجل آخر وميقات آخر للوجود الاجتماعى لهؤلاء الأفراد، للأمه بوصـفها مجتمعا ينشـئ ما بين أفراده العلاقات والصـلات القائمه على أساس مجموعه من الأفكار والمبادئ المستنده بمجموعه من القوى والقابليات)(۱).

بمعنى آخر: (هـذا المجتمع الـذى يعبر عنه القرآن بالأـمه، له أجل، له موت، له حياه، له حركه كما للفرد يتحرك فيكون حيا ثم يموت، كذلك الأمه تكون حيه ثم تموت، وكما أن موت الفرد يخضع لقانون معين، كذلك الأمم أيضاً لها آجالها التى تخضع لقوانين معينه)(۲).

وهـذا الـذى أراده القرآن من المسـلمين بوصـفه كتـابهم الـذى يرجعون إليه فى معرفه دينهم أن يلتفتوا إلى تلـك القوانين الـتى خضـعت لها الأمم السابقه ولم يكن لها أن تتفلت من سـطوتها؛ فليس الفرد حينما يكون ضمن مجتمع معين أن يحيا أو يموت أو ينمو بمعزل عن الأمه التى ينتمى إليها.

إذ قـد يظن الكثير بأنه بمنأى عن عواقب انحراف الأمم والجماعات التى يعيش معها وينتمى إليها بل: لعلنا نجد أن هذه الحاله قد أخذت مآخذها من الأمم المعاصـره، فى حين يعرض القرآن الكريم حتميه إجراء هذه السـنن فى الأمم كافه؛ فقد يموت الإنسان قبـل موت الأمه ألا أنه يفنى فى ماله وذريته فيكون حينها قـد مات مع الأمه التى ينتمى إليها، ناهيك عن ما يحمله من الآثام التى شارك الأمه فيها.

۱- سنن التاريخ فى القرآن لسيد محمد باقر الصدر: ص ۵۷.

۲- النظريه القرآنيه لتفسير حركه التاريخ لحسن سلمان: ص ۹۰.

المسأله الثالثه: علّه تأخير العقوبه الجماعيه

لكن القرآن الكريم فى الوقت الـذى يتحدث عن تلك السـنن التاريخيه وما تؤول إليه عواقب الأعمال الفرديه والجماعيه، هو فى نفس الوقت يتحـدث عن سـنن أخرى هى تـأخير العقوبه الجمـاعيه لحكمه خاصه، منها الرحمه والمغفره؛ ومنها (الإصـلاح) وهو الغايه المنشوده فى عرض سيره الأمم السابقه وما آلت إليه عواقب أفعالها. قال تعالى:

((وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَهِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (۵۸) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا))(۱).

وقال عز وجل:

((وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّهٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا))(۲).

(ففى هاتين الآيتين الكريمتين، تحـدث القرآن الكريم، عن أنه لو كان الله يريد أن يؤاخذ الناس بظلمهم، وبما كسـبوا، لما ترك على ساحه الناس من دابه، يعنى لأهلك الناس جميعا، وقد وقعت مشكله فى كيفيه تصوير هذا المفهوم القرآنى، حيث أن الناس ليسوا كلهم ظالمين عاده، ففيهم الأنبياء، وفيهم الأئمه، وفيهم

۱- سوره الكهف، الآيه: ۵۸ و ۵۹.

۲- سوره فاطر، الآيه: ۴۵.

الأوصياء، هل يشمل الهلاك الأنبياء والأئمه العدول من المؤمنين؟ حتى أن بعض الناس استغل هاتين الآيتين لإنكار عصمه الأنبياء عليهم السلام.

والحقيقه أن هاتين الآيتين تتحدثان عن عقاب دنيوى لا عقاب أخروى، فالآيه تتحدث هنا عن النتيجه الطبيعيه لما يكسبه أفراد المجتمع على اختلاف هوياتهم وعلى اختلاف اتجاهاتهم، حينما وقع (التيه) على بنى إسرائيل إنما شمل موسيعليه السلام، شمل أطهر الناس وأزكاهم وأشجعهم فى مواجهه الظلمه والطواغيت، شمل موسى عليه السلام لأنه جزء من تلك الأمه.

هذا كله هو منطق سنن التاريخ، والعذاب حينما يأتى فى الدنيا على مجتمع وفق هذه السنن، لا يختص بخصوص الظالمين من أبناء ذلك المجتمع، ولهذا قال القرآن الكريم فى آيه أخرى:

((وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))(١).

بينما يقول فى موضع آخر:

((وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى))(٢).

فالعقاب الأخروى دائما ينصب على العامل مباشره، وأما العقاب الدنيوى فيكون أوسع من ذلك.

إذن هاتان الآيتان الكريمتان تتحدثان عن سنن التاريخ وما يمكن أن يحصل نتيجه كسب الأمه وسعيها وجهدها، لا عن العقاب بالمعنى الأخروى، والعذاب

١- سوره الأنفال، الآيه: ٢٥.

٢- سوره الفاطر، الآيه: ١٨.

بمعنى مقاييس يوم القيامه)(١). ويمضى القرآن الكريم فى عرضه للسنن التاريخيه وعلاقتها بالإنسان والمجتمع فمنها:

المسأله الرابعه: سنه التغيير النفسى وارتباطها بتغيير المجتمع

من السنن التاريخيه التى أظهرها القرآن الكريم هى سنه التغيير النفسى وعلاقتها بالمجتمع؛ هذه العلاقه التى يظهرها القرآن على هيئه قانون مؤثر فى إصلاح الأمم، بل يظهر مفهوما أعم من ذلك؛ وهو ارتباط الإصلاح المجتمعى بالإصلاح الفردى.

بمعنى: لا ـ يمكن أن تنهض الأمه ما لم تبدأ بإصلاح أفرادها، أو من أراد أن تكون أمته التى ينتمى إليها وقومه الذين ينتسب إليهم أمه صالحه، فعليه أن يبدأ بمشروع التغيير الشخصى، أى أن يبدأ بتغيير نفسه أولا ثم أهل بيته ثم أقربائه وهكذا، وهو ما دل عليه قوله تعالى:

((لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) (٢).

والعله فى هذا الترابط، وهذه العلاقه هو أن: (المحتوى الداخلى النفسى والروحى للإنسان هو القاعده، وإن الوضع الاجتماعى هو البناء العلوى، وأن هذا البناء العلوى لا يتغير إلا وفقا لتغير القاعده.

إذن: هذه الآيه تتحدث عن علاقه معينه بين القاعده والبناء العلوى بين الوضع النفسى والروحى والفكرى للإنسان وبين الوضع الاجتماعى، بين داخل

١- السنن التاريخيه فى القرآن لمحمد باقر الصدر قدس سرّه: ص ٥۴ و ۵۵.

٢- سوره الرعد، الآيه: ١١.

الإنسـان وبين خارجه، فخارج الإنسان يصـنعه داخل الإنسان، فإذا تغير ما بنفس القوم تغير ما عليه وضـعهم، وعلاقاتهم، والروابط التی تربط بعضهم ببعض، ولذا: فهذه سنه من سنن التاریخ، ربطت القاعده بالبناء العلوی.

((ذَلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ یَکُ مُغَیِّرًا نِعْمَهً أَنْعَمَهَا عَلَی قَوْمٍ حَتَّی یُغَیِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ)) (۱)(۲).

المسأله الخامسه: آثار سنه الاستقامه وتطبیق أحکام الله علی الفرد والأمه

کثیره هی السـنن التاریخیه التی یعرضها القرآن الکریم، إلا أننا أجملنا فی ذکرها واکتفینا ببعضها کی ینسجم ذلک مع ما شهدته الحرکه التـاریخیه عنـد المسـلمین وعوامـل تطوّرهـا، ومنها الـدور الممیز للقرآن الکریم فی تجدیـد الفکر العربی، ونموه بشـکل خاص، والإنسانی بشکل عام.

ولذا کان القرآن قد تصدر الکتب السماویه فی بیانه لهذه السنن التاریخیه وآثارها علی الفرد والمجتمع فکان منها: سنه الاستقامه وتطبیق أحکام الله تعالی علی الفرد والمجتمع؛ وهی سنه تاریخیه لعبت دوراً مهما فی تحدید مصیر الإنسان والأمه. قال تعالی:

((وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاهَ وَالْإِنْجِیلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَیْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَکَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ)) (۳).

۱- سوره الأنفال، الآیه: ۵۳.

۲- السنن التاریخیه فی القرآن لمحمد باقر الصدر: ص ۵۸.

۳- سوره المائده، الآیه: ۶۶.

وقال عز وجل:

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (۱).

وقال عزّ شأنه:

((وَأَلَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَهِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا))(۲).

((بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّهٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ))(۳).

«هذه الآيات تتحدث عن علاقه معينه بين الاستقامه وتطبيق أحكام الله سبحانه، وبين وفره الخيرات ووفره الإنتاج، وبلغه اليوم: بين عداله التوزيع وبين وفره الإنتاج.

فالقرآن يؤكد أن المجتمع الذى تسوده العداله فى التوزيع، التى عبر عنها القرآن تاره ب: ((وَأَلَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَهِ))، وأخرى ب: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا))، وأخرى ب: ((وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاهَ وَالْإِنْجِيلَ)) هو المجتمع المتقدم والمعافى من الأمراض والانحرافات .

لأن شريعه السماء نزلت من أجل تقرير عداله التوزيع، وإقامتها على أسس عادله، يقول: لو أنهم طبقوا عداله التوزيع، إذن لما وقعوا فى ضيق من ناحيه الثروه المنتجه، بل لازداد الثراء وازدادت الخيرات والبركات، لكنهم تخيلوا أن عداله التوزيع تقتضى التقسيم، ومن ثم تقتضى فقر الناس.

۱- سوره الأعراف، الآيه: ۹۶.

۲- سوره الجن، الآيه: ۱۶.

۳- سوره الزخرف، الآيه: ۲۲.

بینما الحقیقه أن السنه التاریخیه تؤکد عکس ذلک، تؤکد بأن تطبیق شریعه السماء وتجسید أحکامها فی علاقات التوزیع، تؤدی دائما وباستمرار إلی وفره الإنتاج وإلی زیاده الثروه، إلی أن یفتح علی الناس برکات السماء والأرض)(۱).

أقول: هذه السنه التاریخیه التی یعرضها القرآن الکریم والتی جرت فی الأمم السابقه هی أیضا ممکنه الوقوع فی هذه الأمه.

ولـذا: نجـد القرآن قد قرن نتائجها باتباع أحکام الله عز وجل، بمعنی: أن الأمه لو اسـتقامت فی سـلوکها واتبعت أحکام الله تعالی لنـالت برکات السـماء والأرض؛ بل لحیَتْ حیاه لم تحیها أمه من الأمم، وهـذا نفسه کان حتمی الوقوع والنتائـج فی الأمم السابقه فیما لو استقامت فی سیرها وسلوکها.

کما: إن الأمر غیر محصور فی عداله التوزیع فقط کما ذهب إلیه سـماحه السـید الشـهید السـعید قدس سرّه بحیث لو أن الأمم قد اسـتقامت فی عـداله التوزیع إذن لما وقعوا فی ضـیق من ناحیه الثروه المنتجه، وإنما الأمر یتعـداه إلی أبعـد من ذلک وهو تقـدیم عقیده الآباء علی أحکام السماء بشکل عام کما دلت علیه الآیه.

((بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَی أُمَّهٍ وَإِنَّا عَلَی آَثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ))(۲).

فمخالفه الأمم أحکام الله واتباعهم لمعتقدات آبائهم هو الذی حرمهم من أن یسقوا ماءً غدقا. نعم، عداله التوزیع إن تمت فی أی أمه من الأمم حتی ولو لم تکن علی دین سـماوی یؤدی ذلک إلی ازدیاد الخیرات، والتاریخ قدیماً وحاضـراً ملیء بالشواهد التی تدل علی أثر عداله الحاکم فی نمو خیرات بلده.

۱- السنن التاریخیه فی القرآن للسید الشهید لمحمد باقر الصدر: ص ۶۰ و ۶۱.

۲- سوره الزخرف، الآیه: ۲۲.

الفصل الثالث: حركه التاريخ وسننه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

اشاره

یشغل التاریخ حیزاً واسعاً فی علوم أهل البیت علیهم السلام، والسبب فی ذلک یعود إلی اهتمام القرآن أولاً بعلم التاریخ، وثانیاً لکونه مدرسه کبیره لمن أراد أن ینطلق لبناء الحیاه الدنیا وینجو فی الآخره.

فالتاریخ کما یعرضه القرآن والعتره:

هو خزین لتجارب الأمم مع الأنبیاء والرسل علیهم السلام الذین بعثوا إلی هذه الأمم، والتاریخ هو ساحه للصراع بین الخیر والشر، وهو نماذج عدیده ومتنوعه من العقول البشریه، ورصید ضخم من الفکر السیاسی والقیادی لهذه الأمم، ناهیک عن تجارب فی الاقتصاد کما فی قضیه یوسف أثناء تولیه خزانه مصر.

((قَالَ اجْعَلْنِی عَلَی خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّی حَفِیظٌ عَلِیمٌ)) (۱).

وفی الاجتماع وعوامل رقیّه وفساده کقوم لوط.

((وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَهَ مَا سَبَقَکُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِینَ (۸۰) إِنَّکُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَهً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ))(۲).

۱- سوره یوسف، الآیه: ۵۵.

۲- سوره الأعراف، الآیه: ۸۰ ۸۱.

وفی الوعی الثقافی والفکری کقوم إبراهیم فی أرض بابل حینما کانت الاتجاهات العقائـدیه والفکریه متنوعه بین عباده الشـمس والقمر والنجوم.

((فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّی هَـٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّی بَرِیءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (۷۸) إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) (۱).

وبین عباده الأصنام؛

((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّی أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِی ضَلَالٍ مُبِينٍ))(۲).

وبین قدره إبراهیم علیه السـلام فی نفوذه إلی تلک العقول بعقیده التوحید فمره ینفذ إلی عقول معتقدی عباده الأصـنام فیکسرها إلا کبیرهم.

((فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (۵۸) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (۵۹) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (۶۰) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (۶۱) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (۶۲) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ)) (۳).

ومره ینفذ فی حواره العقائدی مع النمرود حینما أوقف منافذه الفکریه بآیه خروج الشـمس من المشـرق وتعجیزه أن یأتی بها من المغرب.

۱- سوره الأنعام، الآیه: ۷۷ ۷۸.

۲- سوره الأنعام، الآیه: ۷۴.

۳- سوره الأنبیاء، الآیه: ۵۸ ۶۳.

((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِی حَاجَّ إِبْرَاهِیمَ فِی رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِیمُ رَبِّیَ الَّذِی یُحْیِی وَیُمِیتُ قَالَ أَنَا أُحْیِی وَأُمِیتُ قَالَ إِبْرَاهِیمُ فَإِنَّ اللَّهَ یَأْتِی بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِی کَفَرَ وَاللَّهُ لَا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ)) (۱).

وفی الجانب السیاسی والقیادی للأمه کما فی استخلاف هارون علیه السلام.

((وَاجْعَلْ لِی وَزِیرًا مِنْ أَهْلِی (۲۹) هَارُونَ أَخِی))(۲) ((وَوَاعَدْنَا مُوسَی ثَلَاثِینَ لَیْلَهً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِیقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِینَ لَیْلَهً وَقَالَ مُوسَی لِأَخِیهِ هَارُونَ اخْلُفْنِی فِی قَوْمِی وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِیلَ الْمُفْسِدِینَ))(۳).

ناهیک عن الخزین الضخم من التجارب المتنوعه فی المجالات المختلفه والمحصوره بأشخاص کمؤمن آل فرعون، ومؤمن آل یاسین، وآسیه بنت مزاحم، وأصحاب الکهف، وهابیل وقابیل، ومریم ابنه عمران صلوات الله وسلامه علیها، وغیرها.

کل ذلک وغیره مما لم نستطع الإحاطه به کان مداعاه لأن یشغل التاریخ حیزا واسعا فی علوم أهل البیت علیهم السلام لاسیما وان حرکه التاریخ وسننه تبدأ عند أهل البیت علیهم السلام من سراجهم المنیر وهو رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فکیف کانت حرکه التاریخ وسننه عنده؟.

۱- سوره البقره، الآیه: ۲۵۸.

۲- سوره طه، الآیه ۲۹ ۳۰.

۳- سوره الأعراف، الآیه: ۱۴۲.

المبحث الأول: حركه التاريخ عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

من البـديهى أن يهتم رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم بحركه التاريخ وهو يرى الوحى قد نزل على قلبه بهذا الكم الكبير من الآيـات التى تخبره عن الحركه التـاريخيه والسـنن التـاريخيه لمختلف الأمم التى خلقهـا الله تعالى، إذ لا يخفى أن القرآن يعرض الحركه التـاريخيه للأمم الأخرى غير الأنس، كالملائكه وسـجودها لآدم، والشـياطين ودورها فى انحراف الأمم. ولـذا تبـدأ هـذه الحركه منذ خلق آدم عليه السلام.

بـل القرآن يتحـدث عن الحركه التـاريخيه للعلوم ونشوئها وتطورها، كمراحل خلق السـموات والأرض، ومراحل النشأه والتكوين للعناصـر الحياتيه على الأرض، وتاريخ تكوّن الأعراق البشريه، واختلاف الألوان والألسن، وغيرها مما لا حصر له، فما من علم إلا وله بدايه نشأ منها وانطلق من عندها ليكوّن بذلك سـجلا تاريخياً يدون فيه سـير هذه الحركه التاريخيه لهذا الصـنف من العلم أو ذاك، ولهذه الأمه أو تلك.

ومن هنا: ظهرت الحركه التاريخيه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسعه وعميقه، فقد روى احمد فى المسند عن عمران بن حصين: "كان نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم، يحدثنا عامه ليله عن بنى إسرائيل لا يقوم إلا لعظيم صلاه"(۱).

ويبدو أن السبب فى تركيز النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على بنى إسرائيل لعده أمور، منها:

۱- مسـتدرك الحاكم النيسابورى: ج۲، ص۳۷۹. البـدايه والنهايه لابن كثير: ج ۲، ص ۱۵۷، وقـال: رواه أبو داود عن قتاده، عن أبى حسان، عن عبد الله بن عمرو. والحديث رواه البزار من هذا الطريق، ومن طريق عمران بن حصين.

۱ تعاقب عدد من الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم.

۲ تنوع الجوانب الحياتيه لديهم باختلاف الأزمنه التى بعثت بها أنبياؤهم؛ بمعنى أن كل فتره زمانٍ أو مكانٍ هو عباره عن سجل تاريخى للحركه البشريه.

۳ اختلاط اليهود بالمسلمين وتشكيلهم نسبه جيده من الجغرافيه العربيه التى تعددت فيها المعتقدات، فقد ظهرت فى الجزيره والعراق واليمن والشام مجموعه من المعتقدات.

۴ قرب زمانهم من زمان بعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهذا يدل على استيعاب المسلمين لأثر السنن التاريخيه التى مرت بها مجتمعات بنى إسرائيل.

۵ نفوذ الثقافه اليهوديه والنصرانيه فى أنديه المدينه بشكل خاص.

۶ تجدد العوامل الفاعله فى حركه السنن التاريخيه فى أمه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو الأمر الذى كان ينبه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يحذر المسلمين منه، بعد أن لاحظ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن العديد من أسس السنن التاريخيه بدأت تتحرك فى أمته.

ولذا أراد حفظهم من عدم تحقق هذه السنن التاريخيه كى لا تحصد الأمه ما سيترتب على هذه السنن من نتائج.

ومن هنا: نجده صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدث المسلمين عن تلك السنن التاريخيه التى جرت فى بنى إسرائيل، كى يحذرهم منها ويأمنوا من عدم الوقوع بها. وهو فى نفس الوقت أعطى خزيناً تاريخياً وعاملاً نهضوياً فى قيام الحركه التاريخيه عند المسلمين.

المبحث الثانى: السنن التاريخيه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لم يغب عن ناظر النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم المنهج الذى قدمه القرآن فى إصلاح الأمم من خلال وضع العديد من السنن الإلهيه فى الحياه الإنسانيه والتى عرفت فيما بعد وحسب اصطلاح المؤرخه بالسنن التاريخيه؛ فهذه السنن لم تكن تغب عن ناظر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ولذا كان يحدث المسلمين ويبين لهم تلك القوانين الإلهيه التى تحكمت فى مصير الأمم السالفه ولاسيما بنى إسرائيل الأقرب عهدا بأمه الإسلام والأكثر احتكاكا وتعايشا، وربما فهما واستيعابا لتلك النتائج التى تمخضت منها هذه السنن التاريخيه.

وحيث إن الطبيعه البشريه هى هى، تتأثر بالمتغيرات الحياتيه والفكريه وحيث إن عناصر الشر والخير متأصله ومتناميه فى جميع الأمم كان لزاما على هذه الأمه أن تحيى تلك السنن التاريخيه والقوانين الحياتيه التى عاشتها الأمم السابقه.

ومن هنا: نجد النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ولاسيما فى السنه الأخيره من حياته الشريفه يحذرهم من اتباع تلك السنن التاريخيه؛ بل يظهر الحديث الشريف أنه كان يرى أن هذه الأمه قد سلكت سبيل السنن التاريخيه للأمم السابقه لا محاله.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذه بالقذه حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب لدخلتموه»!.

قالوا: فاليهود والنصارى يا رسول الله؟. قال:

فمن أذن»(۱).

۱- الرسائل العشر للطوسى: ص۱۲۷. وقريب منه فى: المصنف لابن أبى شيبه: ج۸، ص۶۳۶.

وفی لفظ آخر أنه صلی الله علیه وآله وسلم قال:

«لتتبعن سنن من قبلکم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتی لو سلکوا حجر ضب لسلکتموه.

قلنا یا رسول الله: الیهود والنصاری؟. قال:

فمن»(۱).

وفی لفظ أنه صلی الله علیه وآله وسلم قال:

«لا تقوم الساعه حتی تأخذ أمتی بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع.

فقیل یا رسول الله: کفارس والروم؟. قال:

ومن الناس إلا أولئک»(۲).

هذه التحذیرات التی أطلقها النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم فی اتباع هذه الأمه السنن التاریخیه للأمم السابقه ولاسیما بنی إسرائیل کانت محفزا قویا عند المؤرخین العرب فی معرفه تاریخ الیهود والنصاری وما جری فی أحوالهم من هذه السنن الإلهیه (التاریخیه).

ومما ساعد علی نمو هذه الحرکه التاریخیه والمعرفیه هو (ظهور جماعه من أهل الدیانه الیهودیه والمسیحیه تتصدی بعد إسلامها لإذاعه تلک المعارف، وهم الذین یسمیهم ابن إسحاق ب(أهل العلم الأول).

ویذکرون عن وهب بن منبه أنه قرأ من کتب الأنبیاء کتبا یختلف عددها فی الروایات بین ثلاثین وبضعه وسبعین أو اثنین وتسعین کتابا.

۱- صحیح البخاری: کتاب بدء الخلق، ج ۴، ص ۱۴۴.
۲- صحیح البخاری: کتاب الاعتصام بالکتاب والسنه، ج ۸، ص ۱۵۱.

وهـذا على الأقـل يعنى تـوفر هـذه الكتب فى المنـاطق من الجزيره والشـام والعراق، فى القرن الأـول الهجرى ولو أنهـا كـانت فى معظمها على ما يظهر بالسـريانيه والعبرانيه؛ وقـد دخل الكثير منها فى معلومات هـذه الكتب على التاريـخ العربى حتى لقـد عرفت آثارها فى التاريخ، وفى علوم الدين باسم خاص هو: الإسرائيليات.

ويبـدو ممـا وجـد من أوراق البـردى الإسـلامى أن ترجمه هـذه الأـمور والنصـوص إلى العربيه قـد تمت فى أوائـل القرن الثـامن الميلادى أو أواخر القرن الأول الهجرى)(١).

فهذه الأسـباب هى التى كانت وراء دخول المعارف التاريخيه التوراتيه الإنجيليه إلى الثقافه الإسـلاميه ولاسيما التاريخ والحديث، وهو الأمر الـذى يفنـد المزاعم التى أطلقها المستشـرق روزنتال فى بحث كتبه عن (أثر التقاليد التوراتيه الإنجيليه فى التاريخ لدى المسلمين).

والذى يدعى فيه:

(أن فكره التاريخ فى الكتاب المقدس قد أثرت فى النبى، وأن العلماء المسـلمين قد اسـتخدموا هذه النظره التاريخيه العالميه فى إنتاج مؤلفات تاريخيه شامله، وأنهم أغنوا تلك المؤلفات بمواد تاريخيه مأخوذه عن الكتاب المقـدس والآثار التوراتيه الإنجيليه، وأن ثمه أخيرا توازيا وتشابها فى (شكل) تقديم تلك المواد بين النصوص التاريخيه التوراتيه والإسلاميه)(٢).

١- التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ١٠٧.

٢- التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ١٠٧ و ١٠٨.

فی حین أن الـدافع الـذی دفـع المسـلمین إلی قراءه التاریـخ والآثـار الیهودیه الإـنجیلیه هو لیس مـا تحتویه هـذه الکتب من مـاده تاریخیه، وإنما الأحادیث النبویه التی أطلقها النبی الأکرم صـلی الله علیه وآله وسـلم فی اتباع أمته سنن الأمم السالفه ولاسیما بنی إسـرائیل؛ فکـان الخوف من الوقوع فی هـذه السـنن ومحـاوله تجنبهـا والنجاه منها هو المحفز الأول فی قراءه هـذه الآثار التوراتیه الإنجیلیه، وإلا هذه الآثار کانت موجوده قبل الإسـلام لکنها لم تأخذ من الوعی التاریخی عند العرب أی اهتمام یذکر کما یدعی روزنتال.

(ویثیر روزنتـال بعض التساؤلاـت حول أی نوع من النصوص التوراتیه الإنجیلیه نقل إلی العربیه هل هو بعض الفرق المسـیحیه أو الیهودیه المعنیه أم هو أشـکال محوره عن النصوص الأهلیه لذلک القصـص القدیم، ویضیف أنه من المقبول عامه لدی الباحثین المحـدثین أن معظم المواد التاریخیه التی أخـذها المؤرخون (منـذ أواخر القرن الثالث فما بعـد) کما اتضـح لدی الطبری وحمزه الاصـفهانی والبیرونی والیعقوبی، إنما ترجع إلی کتاب «المـدارش والهاغاداه»(۱) لدی الیهود والنصاری، ولکنها خضـعت للکثیر من التعدیل؛ ومثل ذلک قصص الأنبیاء.

۱- التاریخ العربی والمؤرخون لشاکر مصـطفی: ص ۱۰۸، وجاء فیه (المـدارش) هی: التفاسـیر الأولی للتلمود وهی أساس المثنا الـذی نسـقه الحاخـامون بعـد القرن الثـانی المیلادی وأمـا (الهاغـاداه) فکتـب التهجـد والوعـظ. وهنـاک الجمـاره، وهی: جمره المناظرات والتعالیم والتفاسـیر التی جرت فی المـدراش، أی: أماکن تدریس الکتاب المقدس فی الکنیس (وجذر کلمه مدراش = دراسه ومدرسه) وذلک بعد انتهاء جمع المثنا.

وما أراد روزنتال أن يعدّه تأثيرا ونقلا إنما يرجع فی الواقع إلی حقیقه مسبقه وهی أن القرآن جاء ((مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ)) وأن الإسلام لم ینکر وجود العقائد الدینیه السابقه ولکنه رفض استمرار الإیمان بها بعد ظهوره، ووحده الرساله منذ إبراهیم أبی الأنبیاء، وعبر الأنبیاء المتعددین حتی محمد صلی الله علیه وآله وسلم آخر النبیین، إنما کانت تقتضی هذا النوع من التطابق مع الفکر التاریخی للتوراه والإنجیل، وهذا النوع من المقبول للماده التاریخیه الناجمه عنها)(۱).

بل إن السبب فی التشابه بین الماده التاریخیه الیهودیه الإنجیلیه وبین الماده التاریخیه الإسلامیه هو لیس هذا النقل الذی تم من خلال ترجمه کتابی «المدارش والهاغاداه» ودخول هذه الثقافه إلی الفکر الإسلامی، إنما هو تحقق قول رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی اتباع هذه الأمه سنن بنی إسرائیل لدرجه الشبر بالشبر والذراع بالذراع؛ بل لو دخل أحدهم فی حجر ضب لدخله المسلمون!.

هذا الانطباق الواقعی للسنن التاریخیه بین بنی إسرائیل والمسلمین لاسیما ابتداء تحقق ذلک بعد وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وانقسامهم علی ثلاث وسبعین فرقه فی هذا الزمن وانتشار الفکر التکفیری فیما بینهم هو الذی خلق هذا التصور الذی ذهب إلیه روزنتال وغیره من المستشرقین والباحثین فی نشأه التاریخ العربی والإسلامی وحرکته وتطوره.

إذن: مثلما رکز القرآن الکریم علی نفوذ السنن التاریخیه فی الأمم السابقه کذلک کان حالها عند رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم.

۱- التاریخ العربی والمؤرخون لشاکر مصطفی: ص ۱۰۸.

الفصل الرابع: حركه التاريخ وسننه عند الإمام على عليه السلام

اشاره

لکی نضع أیـدینا علی تطور الوعی التاریخی عنـد العرب فلابد أن ندرک دور القرآن وعتره النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم فی تدریس هذا العلم وتطویره.

بل: إنهم أصـحاب الفضل الأول بعـد القرآن فی خلق هذا الوعی التاریخی وتطویره وتثقیفه بین أهله کسـلیم بن قیس ومحمد بن إسحاق المطلبی حتی جعلته یحتل الصداره فی هذا العلم.

ولـذا کـان لزامـا أن نعرّج علی مـدرسه الإمـامه، ونهبـط عنـد أعتـاب بـاب مـدینه علم النبوه، وأن نجلس بین أروقه مـدرسه أمیر المؤمنین علیه السلام لنفهم کیف هو التاریخ عنده، حرکه وسنه؟.

المبحث الأول: حرکه التاریخ عند الإمام علی علیه السلام

یتخـذ الإمـام أمیر المـؤمنین علیه السـلام من حرکه التاریـخ وسـیله لتقـویم السـلوک الإنسـانی وأداه لإصـلاح المجتمعـات؛ هـذا الإصلاح الذی لا یتم إلا من خلال إصلاح أفراد المجتمع أو الأمه کما یعبر عنها القرآن الکریم.

وتمتـاز علاقه الإمام أمیر المؤمنین علیه السـلام بحرکه التاریـخ عن غیره ممن یهتمون بالتاریـخ بأنه علیه السـلام یتعایش مع هـذه الحرکه وکأنه عنصرٌ من عناصر هذه الحرکه، وواحد من مکوناتها، فما أن مرّ علی أمه من الأمم تحدث عنها وکأنه أحد أفرادها المبصرین بأحوال أمته.

ولـذا لم يكن حينمـا يتحـدث عن هـذه الأمه أو تلك بالرجل القاص، أو الراوى المتسـلى؛ وإنما هو الرجل المعايش لهـذه الأمه والعارف بعوامل نهوضها، أو اندثارها، المتبحر فى أخلاقها وسلوكها.

ومن هنا: نجـده يحثّ على التعامل مع التاريـخ تعامل المرشـد، والمصـلح، والمقوّم لحركه الإنسان الدنيويه والأخرويه؛ مما جعل بعض الباحثين ينظرون إلى هذه العلاقه بأنها (علاقه وعظيه)(۱)، أى أن الغالب فى حديثه عليه السلام عن التاريخ هو الوعظ.

فى حين أنه عليه السـلام لم يكن ليخالف المنهـج القرآنى والنبوى الذى عرضـناه فى بيان حركه التاريخ وسـننه، وهو الأمر الذى يمكن ملاحظته بشكل واضح فى خطبه وحديثه عن حركه التاريخ وسننه.

ففى حركه التاريخ يقول عليه السلام وهو يوصى ولده الإمام الحسن عليه السلام:

«أى بنىّ إنى وإن لم أكن عُمَرّتُ عُمْرَ من كـان قبلى، فقـد نظرت فى أعمـالهم، وفكّرت فى أخبارهم، وسـرتُ فى آثارهم، حتى عُدتُ كأحدهم، بل كأنى انتهى إلىّ من أمورهم، ما قد عُمِّرتُ مع أولهم إلى آخرهم، فعرفتُ صـفو ذلك من كدِرِه، ونفعه من ضرره»(۲).

وهنا نلاحظ رصـده الـدقيق لحركه التأريـخ منـذ أن وُجـد الإنسان على هـذه البسـيطه وإنه جمع هـذه المعرفه من خلال النظر فى أعمـال الأمم أفراداً وجماعات، وفكّر فى أخبارهم التى دأب المؤرخون على عرضـها دون الفكره فى أحوالها، فامتاز عنهم بالنظر والفكر والسبر فى من آثارهم حتى أصبح كأحدهم. بل لدرجه انّه

۱- حركه التاريخ عند الإمام على عليه السلام، محمد مهدى شمس الدين.

۲- نهـج البلاغه: خطب الإمام على عليه السـلام: ج ۳، ص ۴۱. تحف العقول لابن شـعبه الحرانى: ص ۷۰. كشف المحجه للسيد ابن طاووس: ص ۱۶۱.

أصبح له من المعرفه بتاريخ هذه الأمم وأحوالها وكأنّه عمّر مع أولهم إلى آخرهم، ليخرج بمحصله لهذا كله بأنه أصبح الخبير المتمرس والعارف الحاذق بصفو الحياه الماضيه من كدرها ونفعها من ضررها. وبمعنى أدق: أصبح العارف بصفو التأريخ من كدره ونفعه من ضرره.

هذه المعرفه الواسعه والشامله والعميقه والدقيقه بالتاريخ حركه وسنه كما سيمر علينا كان لها الأثر الفعال فى نمو الوعى التاريخى عند المسلمين ولاسيما رواد مدرسه العتره النبويه الطاهره عليه السلام ك(سليم بن قيس الهلالى، وجابر بن يزيد الجعفى، ومحمد بن إسحاق المطلبى شيخ كتّاب السيره النبويه) وغيرهم.

المبحث الثانى: السنن التاريخيه عند الإمام على عليه السلام

اشاره

لقد امتازت نظرته عليه السلام إلى السنن التاريخيه بميزات عديده منها:

۱ الإحاطه بهذه السنن منذ ابنى آدم إلى أمه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

۲ تحديد العامل المشترك فى جميع هذه السنن وهو طاعه الله } ومعصيته.

۳ تشخيص ما تؤول إليه هذه الأمه من اتباعها السنن التاريخيه التى سارت عليها الأمم السالفه.

۴ الدور الإرشادى لهذه السنن فى إصلاح المجتمع.

المسأله الأولى: الإحاطه التامه بالسنن التاريخيه

ومن الشواهد على الميزه الأولى، قال عليه السلام:

«وَإِنَّ لَكُمْ فِی الْقُرُونِ السَّالِفَهِ لَعِبْرَهً أَیْنَ الْعَمَالِقَهُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَهِ أَیْنَ الْفَرَاعِنَهُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَهِ أَیْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِینَ قَتَلُوا النَّبِیِّینَ وَأَطْفَئُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِینَ وَأَحْیَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِینَ أَیْنَ

الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ وَعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ»؟(۱).

فهذه النظره المحيطه بالسنن التاريخيه التى تهاوت بفعلها تلك الأمم فلم تبق منها سوى الأساطير هى فى الواقع تصرخ بالقادم من الأجيال إلى الحذر من الوقوع فى مهالك تلك الأمم حينما لم يراعوا قوانين السماء وما جاءت به الأنبياء من شرايع.

وفى شاهد آخر يقول عليه السلام:

«فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِى إِسْحَاقَ وَبَنِى إِسْرَائِيلَ عليهم السلام فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ»(۲).

وفى شاهد آخر يقول عليه السلام:

«تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِى حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيَالِىَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْآفَاقِ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ، وَمَهَافِى الرِّيحِ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ، إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ، أَذَلَّ الْأُمَمِ دَاراً، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً، لاَ يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلاَ إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالْأَيْدِى مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِى بَلاَءِ أَزْلٍ، وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ»(۳).

وهنا يتحدث عليه السلام عن حال العرب فى الألف الأولى قبل بعث النبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أى ما بين موسى عليهم السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

۱- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطبه فى تنزيه الله، ج ۲، ص ۱۰۸، خ ۱۸۲.

۲- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: الخطبه القاصعه، ج ۱۳، ص ۱۷۱.

۳- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطب الإمام على عليه السلام، ج ۲، ص ۱۵۳.

وشمال أفريقيا مصر وما جاورها، وأهل مكه وما يحيط بها من مدن، كيف كان حالهم؟ وما هو دور السنن فى رسم حياتهم؟.

أنهم كانوا مشتتين مفرقين حينما كانت ملوك الفرس فى الشرق، وأباطره الروم فى الغرب، تتحكم بهم وتقبض على أنفاسهم وأرواحهم وتنهب خيراتهم، كانوا يزرعون ليأكل الأكاسره والقياصره بينما هم مدفوعون عن خضرتهم إلى منابت الشيّح ومهافى الريح (أى عنب الصحراء) ونكد المعاش، فتركوهم عاله مساكين، أخوان دبرٍ ووبر (أى: تحت الخيام التى تصنع من شعر الإبل وهو الوبر) أذل الأمم داراً وأجدبهم قراراً.

ثم يمضى عليه السلام فى بيان حال العرب قبل أن يمنّ الله عليهم بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وكيف يصبح حالهم بعد أن بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقولعليه السلام:

«فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ وَ جَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَهُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا وَ أَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا وَ الْتَفَّتِ الْمِلَّهُ بِهِمْ فِى عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا فَأَصْبَحُوا فِى نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ وَ فِى خُضْرَهِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِى ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ وَ آوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ وَ تَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِى ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ وَ مُلُوكٌ فِى أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ وَ يُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاهٌ وَ لَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاهٌ»(۱).

۱- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخطبه القاصعه، ج ۲، ص ۱۵۴. بحار الأنوار للعلامه المجلسى رحمه الله: ج ۱۴، ص ۴۷۳. شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ۱۳، ص ۱۷۷.

المسأله الثانیه: تحدید العامل المشترک فی السنن التاریخیه

أما المیزه الثانیه لنظرته علیه السلام إلی السنن التاریخیه، فهی: تحدید العامل المشترک فی جمیع هذه السنن وهو طاعه الله } ومعصیته.

فیقول علیه السلام:

«أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا یَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَهَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ، لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا»(۱).

«وَإِنَّ عِنْدَکُمُ الأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَیَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَلاَ تَسْتَبْطِئُوا وَعِیدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ وَیَأْساً مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ یَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِیَ بَیْنَ أَیْدِیکُمْ إِلاَّ لِتَرْکِهِمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْیَ عَنِ الْمُنْکَرِ، فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُکُوبِ الْمَعَاصِی، وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْکِ التَّنَاهِی»(۲).

والسمه الأبرز فی هذا العامل المشترک بین السنن التاریخیه هی سنه الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر التی بها یکون حفظ المجتمعات من التفکک والانهیار وضیاع النعم والخیارات وفقدان الأمن وما یتلوه من انعدام الأمان والسلام وانتشار الفوضی وعموم الفساد.

ولذا نجده علیه السلام قد رکز علی دور هذه السنه التی تعد السمه البارزه فی ظهور طاعه الله وعصیانه؛ ولذلک اتبعها بلعنه للسفهاء الذین یرکبون المعاصی، والحلماء لترکهم التناهی.

۱- مستدرک الوسائل للمیرزا النوری: ج ۱۲، ص ۱۹۴.

۲- نهج البلاغه للإمام أمیر المؤمنین علیه السلام: الخطبه القاصعه، ج ۲، ص ۱۵۶. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج ۳۴، ص ۲۲۳.

وفی قول آخرُ یظهر فیه أهمیه هذه السنه التاریخیه وما تؤول إلیه الأمم فی ترکها، أو العمل بعکسها فیقول علیه السلام:

«ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلاَ مُنْکِرٌ مُغَیِّرٌ وَلاَ زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ أَفَبِهَذَا تُرِیدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِی دَارِ قُدْسِهِ (أی الجنه) وَتَکُونُوا أَعَزَّ أَوْلِیَائِهِ عِنْدَهُ هَیْهَاتَ لاَ یُخْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلاَ تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ».

«لَعَنَ اللَّهُ الآمِرِینَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِکِینَ لَهُ وَالنَّاهِینَ عَنِ الْمُنْکَرِ الْعَامِلِینَ بِهِ»(۱).

المسأله الثالثه: تشخیص نتائج السنن

وفی تشخیص ما تؤول إلیه هذه الأمه من اتباعها للسنن التاریخیه التی سارت علیها الأمم السالفه یقول علیه السلام:

«أَیُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِینِ الْبَاطِلِ لَمْ یَطْمَعْ فِیکُمْ مَنْ لَیْسَ مِثْلَکُمْ وَلَمْ یَقْوَ مَنْ قَوِیَ عَلَیْکُمْ لَکِنَّکُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِی إِسْرَائِیلَ وَلَعَمْرِی لَیُضَعَّفَنَّ لَکُمُ التِّیهُ مِنْ بَعْدِی أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِکُمْ وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَی وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ»(۲).

۱- نهج البلاغه للإمام أمیر المؤمنین علیه السلام: من کلام له خاطب به أباذر، ج ۲، ص ۱۲، ح ۱۲۹. وسائل الشیعه (آل البیت) للحر العاملی رحمه الله: ج ۱۶، ص ۱۵۱، ح (۲۱۲۱۶)۹.

۲- نهج البلاغه للإمام أمیر المؤمنین علیه السلام: من خطبه له أول خلافته عظم فیها حقه: ج ۲، ص۷۹، ح ۱۶۶. الکافی للشیخ الکلینی رحمه الله: ج ۸، ص ۶۶، ح ۲۲، وجاء فیه: (وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَی مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ مِنْ أَبْنَاءِ الْحَرْبِ لِرَسُولِ اللَّهِ صلی الله علیه وآله وسلم.

وتشخيصه عليه السلام لسلوك هذه الأمه سنن من كان قبلها، لم يكن تشخيص المنظّر للأحداث التاريخيه، وأحوال الأمم السابقه؛ وإنما تشخيص الخبير المتمرس. ولذا نجده يظهر الأسباب والنتائج، فيبدأ بذكر الأسباب، فيقول:

«أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ» «لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ».

وهذه النتيجه التى تكشف عن تحرك السنه التاريخيه فى هذه الأمه تظهر نتائجها فى كل زمان ومكان.

ثم إنه عليه السلام لم يكتفِ بذلك فقط وإنما يظهر ما تؤول إليه مضاعفه النتائج، إذ نفس هذه النتيجه يمكن للأمه أن تتحكم فى تغييرها نحو الأفضل فيما لو سعت إلى تغيير هذه النتيجه التى يظهرها عليه السلام بأنها سبب آخر لتردى الحال، فيقولعليه السلام:

«لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَى، وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ».

ويظهر هنا أن بعض السنن التاريخيه المتعلقه بهذه الأمه تتضاعف فيها النتائج الارتداديه لسيرها، لدرجه يبدو فيها أن التدارك لهذه النتيجه صعب، إن لم يكن مستحيلا؛ والسبب يعود إلى تمسك هذه الأمه بالنهج الذى انتهجته، من جعلها الحق وراء ظهرها، وقطعها الأدنى (أى القريب من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ووصلها أى مؤازرتها واتباعها) للبعيد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا: لم يكن عليه السلام ليدع هذه الأمه الإسلاميه، ولاسيما العرب لتسير فى هذا الطريق المظلم، أو أن تتبع سنن الذين ظلموا أنفسهم وأهليهم؛ بل كان يرشدهم ويحثهم على تجنب الفتنه والوقوع بها والخوض فيها، فيقول عليه السلام:

«ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَهِ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَهِ، وَتَثَبَّتُوا فِى قَتَامِ الْعِشْوَهِ، وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَهِ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاهَا.

تَبْدَأُ فِى مَدَارِجَ خَفِيَّهٍ، وَتَئُولُ إِلَى فَظَاعَهٍ جَلِيَّهٍ، شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ، وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ، يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَهُ بِالْعُهُودِ، أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ، يَتَنَافَسُونَ فِى دُنْيَا دَنِيَّهٍ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَهٍ مُرِيحَهٍ، وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ، فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ»(۱).

لكن النتائج التى انتهت إليها هذه الأمه كانت تظهر أنّ هذا التنبيه والتحذير والإرشاد، لم يكن ليؤتى ثماره كما لم تأتِ ثمار التوجيه والإرشاد والتحذير التى قدمها القرآن الكريم؛ والسبب فى ذلك يبدو فى إصرار الناس على التمسك بالباطل، وتقديم المصالح والأهواء على الحقوق والأحكام الشرعيه.

أى أن الله } لم يكن ليترك هذه الأمه دون أن تجرى فيها سنه الافتتان كما جرت فى الأمم السابقه إلا أن الفارق هو أن هذه الأمه كان لديها رصيد ضخم

۱- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطبته فى الفتنه وما يكون فيها، ج ۲، ص ۳۷. بحار الأنوار للعلامه المجلسى رحمه الله: ج ۳۴، ص ۲۶۶، الباب الثالث والثلاثون، ما وقع فى أيام خلافته عليه السلام.

من المعرفه بهـذه السـنن التاريخيه ومقدماتها ونتائجها إذ لم يدعها القرآن على عمى ولم يتركها النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم دون هدى.

لكن النفس الإنسـانيه هى النفس لم تكن لتعلم موقعها من الحق والباطل ما لم تفتتن وتجرِ فيها هـذه السـنه الإلهيه التى جرت فى الأمم السابقه؛ وفى ذلك يقولعليه السـلام وقد سأله رجل عن الفتنه قائلا له: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الفتنه، وهل سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها؟. فقال عليه السلام:

«إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ:

((الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ))

عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَهَ لاَـ تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صـلى الله عليه وآله وسـلم بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَـذِهِ الْفِتْنَهُ الَّتِى أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا؟.

فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِى سَيُفْتَنُونَ بَعْدِى.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِى يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْـهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّى الشَّهَادَهُ فَشَقَّ ذَلِکَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِى أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَهَ مِنْ وَرَائِکَ.

فَقَالَ لِى: إِنَّ ذَلِکَ لَکَذَلِکَ فَکَيْفَ صَبْرُکَ إِذاً.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ وَلَکِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّکْرِ.

وَقَـالَ: يَـا عَلِيُّ إِنَّ الْقَـوْمَ سَـيُفْتَنُونَ بِـأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِـدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِـمْ وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَـهُ، وَيَـأْمَنُونَ سَـطْوَتَهُ، وَيَسْـتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْکَاذِبَهِ وَالأَهْوَاءِ السَّاهِيَهِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّهِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، أَبِمَنْزِلَهِ رِدَّهٍ، أَمْ بِمَنْزِلَهِ فِتْنَهٍ؟.

فَقَالَ: بِمَنْزِلَهِ فِتْنَهٍ»(۱).

فكيف لا تكون كل هـذه الإحاطه بهـذه السـنن التاريخيه من مقـدماتها، وديمومتها، وتضاعف نتائجها، من تكوين وعى تاريخى عند تلامذته بشكل خاص وعند العرب بشكل عام؟.

وكيف لاـ يكون سـليم بن قيس الهلالى صاحب التصـنيف الأول فى كتابه الوجه الآخر لتاريـخ المسـلمين بهـذا القـدر الكبير من الوعى التاريخى والفكر المنهجى.

وكيف لا يكون محمد بن إسـحاق المطلبى صاحب المغازى والسـير ومصـنف السـيره النبويه الأول بهذا الوعى التاريخى وهو قد نشأ فى بيت عُرف بموالاته للعتره النبويه، وتتلمـذ فى مدرسه على أمير المؤمنين عليه السـلام، فهذا نهجهم فى حفظ سـيره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتدوينها على الرغم من اضطهاده ومحاربته على ما قدم لهذا العلم.

ولذا: لم تكن الحضارتان اللتان أحاطتا بأهل مكه فى الشـمال والجنوب وما تناقل إليها من أخبار الأكاسـره والقياصـره هما اللتين أنشأتا التاريخ عند العرب ولاسيما العرب المسلمين، بل ما زخر به القرآن الكريم والعتره النبويه من ماده لهذا العلم حركه، وسننا، ووعيا، وتطويرا، هو السبب الأول والمباشر لنشأه التاريخ عند العرب وتطوره.

۱- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطب الإمام على عليه السلام، ج ۲، ص ۵۰، ح ۱۵۶.

المسأله الرابعه: بیان الدور الإرشادی فی السنن التاریخیه

اشاره

إنّ بیان الدور الإرشادی لهذه السنن فی إصلاح المجتمع المسلم وهی المیزه الرابعه فی نظرته علیه السلام إلی السنن التاریخیه یرکز الإمام علیه السلام علی هذا الدور الفعال وما له من أثر عمیق علی النفس، وهی تنظر فی عاقبه تلک الأمم السابقه وما آلت إلیه من رقی وتدهور ورفعه ودنو، بل کیف کان عاقبه أفرادها.

والدور الإرشادی للسنن التاریخیه عند الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام یتبلور فی محورین، عام للناس وخاص للمؤمنین.

محورا الدور الإرشادی:

المحور الأول: المحور الإرشادی العام

فی هذا المحور یرکز الإمام علی علیه السلام علی أسلوبین، وهما (أسلوب الاعتبار، وأسلوب التحذیر).

ففی الأسلوب الأول یرشد الناس إلی الإصلاح من خلال اختیاره بعض الشواهد التاریخیه، والظاهر أن الإمام أختار هذا الأسلوب الإرشادی إلی طبقه خاصه من المجتمع وهم العقلاء، فهم الأوفق لفهم هذا النوع من الإرشاد، وهو الاعتبار.

فیقول علیه السلام:

«فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَکْبِرِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ، مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِی خُدُودِهِمْ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ، وَاسْتَعِیذُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْکِبْرِ کَمَا تَسْتَعِیذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ، فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِی الْکِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِیهِ لِخَاصَّهِ

أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ وَرَضِیَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ؛ فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَفَّرُوا فِی التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِینَ، وَكَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِینَ، قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَهِ، وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَهِ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ.

فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَی وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَهِ، وَالِاخْتِبَارِ فِی مَوْضِعِ الْغِنَی وَالِاقْتِدَارِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَی:

((أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (۵۵) نُسَارِعُ لَهُمْ فِی الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ))(۱).

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِینَ فِی أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِینَ فِی أَعْيُنِهِمْ»(۲).

«وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَی بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَی فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِیُّ، فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ.

فَقَالَ:

أَلاَ تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِی دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِیَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَهٌ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ.

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ،

۱- سوره المؤمنون، الآیه: ۵۵ و ۵۶.

۲- نهج البلاغه للإمام أمیر المؤمنین علیه السلام: خطب الإمام علی علیه السلام، الخطبه القاصعه فی ذم الکبر، ج ۲، ص ۱۴۳، خ ۱۹۲. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: باب ۳۱، ج ۱۴، ص۴۶۸، خ۳۷.

وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ؛ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ، وَوُحُوشَ الأَرَضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاَءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ، وَلاَ اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلاَ لَزِمَتِ الأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا»(۱).

وفی الأسلوب الإرشادی التحذیری یتوجه الإمام علی علیه السلام إلی طبقات المجتمع کافه ویدعوهم جمیعاً ولاسیما العقلاء إلی التفکر فی أحوال تلک الأمم السابقه، فیقول:

«وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلاَتِ بِسُوءِ الأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ الأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِی الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ، فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِی تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ، وَزَاحَتِ الأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ، مِنَ الاِجْتِنَابِ لِلْفُرْقَهِ، وَاللُّزُومِ لِلأُلْفَهِ، وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا، وَالتَّوَاصِی بِهَا.

وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ، مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الأَيْدِی»(۲).

۱- نهج البلاغه للإمام أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام: خبط الإمام، الخطبه القاصعه فی ذم الکبر، ج ۲، ص ۱۴۴ ۱۴۵، خ ۱۹۲. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: باب ۴ بعثه موسی وهارون H، ج ۱۳، ص ۱۴۱، خ ۶۱. التفسیر الصافی للفیض الکاشانی: ج ۴، ص۳۹۵، سوره الزخرف، الآیه ۵۵.

۲- نهج البلاغه للإمام أمیر المؤمنین علیه السلام: الخطبه القاصعه، ج ۲، ص ۱۵۰ ۱۵۱. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: باب ۳۱، ج ۱۴، ص ۴۷۲. شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید المعتزلی: ج ۱۳، ص ۱۶۹.

ویمتاز هذا الأسلوب الإرشادی بمیزات عده:

۱. الدعوه إلی التفکیر بأحوال الأمم السابقه مع بیان فائده التفکر.

۲. وضع منهج سلوکی للمجتمع یرتکز علی تلک التجارب التی خاضتها الأمم السابقه لغرض اتباع ما من شأنه أن یحقق العزه؛ واجتناب ما من شأنه أن یؤدی إلی الذله والتهلکه.

۳. تشخیص الموارد التی تحمل علی الفرقه بین أبناء الأمم وتجنب الوقوع فیها کالتضاغن والتشاحن والتدابر والتخاذل.

المحور الثانی: المحور الإرشادی الخاص

وفی المحور الثانی من الدور الإرشادی للسنن التاریخیه، وهو المخصوص بالمؤمنین، یقول علیه السلام:

«وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِینَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ قَبْلَکُمْ، کَیْفَ کَانُوا فِی حَالِ التَّمْحِیصِ وَالْبَلاءِ أَلَمْ یَکُونُوا أَثْقَلَ الْخَلائِقِ أَعْبَاءً، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلاءً، وَأَضْیَقَ أَهْلِ الدُّنْیَا حَالاً.

اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَهُ عَبِیداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِی ذُلِّ الْهَلَکَهِ، وَقَهْرِ الْغَلَبَهِ.

حَتَّی إِذَا رَأَی اللَّهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَی الأَذَی فِی مَحَبَّتِهِ، وَالِاحْتِمَالَ لِلْمَکْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَایِقِ الْبَلاءِ فَرَجاً، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَکَانَ الذُّلِّ، وَالأَمْنَ مَکَانَ الْخَوْفِ فَصَارُوا مُلُوکاً حُکَّاماً وَأَئِمَّهً أَعْلاماً، وَقَدْ بَلَغَتِ الْکَرَامَهُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الآمَالُ إِلَیْهِ بِهِمْ.

فَانْظُرُوا کَیْفَ کَانُوا حَیْثُ کَانَتِ الأَمْلاءُ مُجْتَمِعَهً، وَالأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَهً، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَهً، وَالأَیْدِی مُتَرَادِفَهً، وَالسُّیُوفُ مُتَنَاصِرَهً، وَالْبَصَائِرُ

نَافِذَهً، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَهً، أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِی أَقْطَارِ الأَرَضِینَ، وَمُلُوکاً عَلَی رِقَابِ الْعَالَمِینَ، فَانْظُرُوا إِلَی مَا صَارُوا إِلَیْهِ فِی آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِینَ وَقَعَتِ الْفُرْقَهُ، وَتَشَتَّتِ الأُلْفَهُ، وَاخْتَلَفَتِ الْکَلِمَهُ وَالأَفْئِدَهُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِینَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِینَ، وَقَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ کَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَهَ نِعْمَتِهِ، وَبَقِیَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِیکُمْ، عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِینَ مِنْکُمْ»(۱).

ونلاحظ فی هذا النموذج من الخطاب أن الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام قد استخدم فی الدور الإرشادی مع المؤمنین أسلوب الحث علی التدبر فی السنن التی جرت فی الأمم السابقه والنظر فی أحوال المؤمنین فیها؛ وهو المنهاج الذی یدعو إلیه القرآن، قال سبحانه:

((وَلَقَدْ کُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ فَصَبَرُوا عَلَی مَا کُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّی أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِکَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَکَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِینَ))(۲).

إذن؛ حظیت حرکه التاریخ وسننه باهتمام کبیر عند أمیر المؤمنین علی علیه السلام مما انعکس بشکل ملحوظ وفعال علی الوعی التاریخی عند العرب، وکان أحد العوامل التی دفعت بهذا العلم إلی التطور والنهوض وهو الأمر الذی أدی ثماره فی ظهور شخصیات إسلامیه تصدرت الکتابه عن التاریخ حرکه وسننا ووعیا وتدوینا.

ولو أردنا أن نتتبع بقیه الشواهد فی خطب الإمام علی علیه السلام لرصد حرکه التاریخ وسننه لاحتاج البحث إلی جهد أکبر فی حین وجدنا فیما استشهدنا به کفایه لتکوین صوره عن أثر مدرسه أهل البیت علیهم السلام فی حرکه التاریخ وسننه وتطوره.

۱- نهج البلاغه للإمام أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام: ج ۲، ص ۱۵۱.

۲- سوره الأنعام، الآیه: ۳۴.

الفصل الخامس: حرکه التاریخ وسننه عند فاطمه الزهراء علیها السلام وأثر ذلک علی الوعی التاریخی وتدوینه

اشاره

من الروافـد التی نمت علی منهله جـذور علم التاریـخ فانتشـی واقفاً یلقی بأغصانه علی خواص أهل هذا العلم، فأناخوا فی ساحته رکابهم وحطوا بجواره قرطاسهم ودواتهم؛ هو رافد کلمات البضعه النبویه فاطمه الزهراء علیها السلام الذی أحدث نقله نوعیه فی دفع حرکه التاریخ الإسلامی وتدوینه.

إلا أن الفارق الذی یفترق به رواد مدرسه أهل البیت علیهم السلام عن غیرهم من رواد المدارس الأخری، أن رواد هذه المدرسه حینمـا کتبوا الحـدث التـاریخی کانت کتابتهم محاطه بالوعی والنقـد والتحلیل والواقعیه والأمانه لجمیع ما سارت علیه الأمه سواء کان یرضی أصحاب الحدث أم لم یرضهم.

ولذلک نجد أن جهابذه هذا العلم حوربوا أشد المحاربه واضطهدوا وشردوا ونفوا عن مدینه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم.

فضـلًا عن ذلک فإنّ طلاب هـذه المـدرسه المحمـدیّه امتازوا أیضاً بتدوین الحدث وتصـنیفه وتوثیقه قبل غیرهـم سواء من التفت من المؤرخین إلی تدوین بعض ما یتعلق بسـیره رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم ک: (سعید بن سعد بن عباده الأنصاری)(۱) أم من دوّن التاریخ الحولی کابن جریر الطبری(۲) وغیره.

۱- تاریخ التراث العربی لفؤاد سزکین: ج ۲، ص ۶۵.

۲- تاریخ التراث العربی: ج ۲، ص ۱۵۹.

ومن هنا: نجد معظم الكتابات فی هذا العلم أو الدراسات التی كتبت عنه تجنبت الخوض فی مصـنفات طلاب هذه المدرسه ك: كتـاب سـليم بن قيس الهلالی أو حتی الإشاره إليه، ناهيک عن اتهامهم بالطائفيه والتحزب لعلی عليه الصـلاه والسـلام، وكأنه لم يكن أحد أركان هذا التاريخ الإسلامی والعربی.

والسـبب فی ذلک كله يعود إلی كتابتهم التاريخ بوعی وأمانه وعدم انحياز للأهواء والأغراض السياسيه، فكانت حياتهم فی خطر مستمر وتشريد وغربه.

المبحث الأول: حركه التاريخ عند فاطمه الزهراء عليها السلام

المسأله الأولی: تشخيصها عليها السلام لبدء حركه التاريخ

تمتاز بضـعه النبی الأعظم صـلی الله عليه وآله وسـلم عمن سـبقها وعمن لحقها فی بيانها لحركه التاريـخ بأنها عليها السـلام تتفرد بتشـخيص نقطه انطلاـق النشأه والتكـوين للخلق وتحديـدها، بمعنی آخر جميع الـذين تحـدثوا عن تاريـخ الأـمم والشـعوب ولم يتوسـعوا فی هـذا التصـنيف ليشـمل جميع أنواع المخلوقـات الحيوانيه والنباتيه والجمادات؛ لأن كل هـذه الأجناس لها تاريـخ فی نشوئها ومواطن خلقها ووجودها.

إلّا أن سيده النساء فاطمه عليها السلام حينما قدمت الحركه التاريخيه ابتدأت من النقطه الأولی التی خلق الله تعالی فيها الأشياء.

فمن هذه اللحظه تبدأ حركه التاريخ عند البضعه النبويه عليها السلام؛ وهو الأمر الذی لم يرد حتی فی ظاهر آيات القرآن الكريم؛ أما باطن القرآن ففيه علم كل شیء.

قال تعالى:

((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ))(١).

وهذا الغيب الذى جمع الله فيه العلوم بحيث لا يعزب عنه عزّ شأنه مثقال ذره فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين، قد جمعه الله تعالى أى هذا العلم فى إمام مبين.

قال تعالى:

((إِنَّا نَحْنُ نُحْيِى الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِى إِمَامٍ مُبِينٍ))(٢).

فكيف بمن كانت حجه الله على الأئمه(٣).

ولذا:

حينما بدأت بضعه النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالحديث عن الحركه التاريخيه للوجود بدأتها من الخلق الأول والنشأه الأولى للأشياء.

١- سوره سبأ، الآيه: ٣.

٢- سوره يس، الآيه: ١٢.

٣- قال الإمام الحسن العسكرى عليه السلام: «نحن حجج الله على الخلائق، وأمنا فاطمه حجه الله علينا». «الأسرار الفاطميه، للمسعودى: ص١٧، نقلاً عن تفسير أطيب البيان: ج١٣، ص٢٢٦.

فقالت عليها السلام:

«ابتـدع الأشـياء لاـ من شـيء كـان قبلها، وأنشأها بلا احتـذاء أمثله امتثلها، كونها بقـدرته، وذرأها بمشـيته، من غير حاجه منه إلى تكوينها، ولا فائـده له في تصويرها، إلا تثبيتا لحكمته، وتنبيها على طاعته، وإظهارا لقـدرته، تعبدا لبريته وإعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذياده لعباده من نقمته، وحياشه لهم إلى جنته»(١).

وهنا: لم تُظهر فاطمه عليها السـلام الحركه التاريخيه لخلق الأشياء وبدء تكوينها وإنما تلحق هذا البيان بإجراء الله تعالى لسننه التي جعلها في الخلق، والعله التي لأجلها خلقهم؛ ولـذا تضع في هـذا البيان الموجز العله والمقدمه والنتيجه مجموعه كلها في بيان هذه الحركه التاريخيه لوجود الخلق. فكانت العله في خلق الله تعالى للخلق هي:

١ . تثبيتاً لحكمته.

٢ . تنبيها على طاعته.

٣ . إظهاراً لقدرته.

٤ . تعبداً لبريته.

٥ . إعزازاً لدعوته.

والحكمه في جعله عزّ شأنه الثواب على الطاعه، ووضعه العقاب على المعصيه هي:

١- كتاب الاحتجاج للطبرسي، خطبه الزهراء صلوات الله وسلامه عليها: ج ١، ص ١٣٣. بحار الأنوار للعلامه المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص ٢٢١، الباب ١١. بلاغات النساء لابن طيفور: ص ١٥.

۱ . ذیاده، أی دفعاً لعباده تعالی عن نقمته.

۲ . حیاشه، أی یجمعهم ویسوقهم إلی جنته.

أما جعله عز وجل للسنن التاریخیه فی سیر هذا الخلق، فکان یرتکز علی سنّتین:

السنّه الأولی: طاعه الله تحقق الثواب.

السنّه الثانیه: معصیه الله تحقق العقاب.

المسأله الثانیه: تحدید حرکه تاریخ النبوه

مثلما تمیزت الحرکه التاریخیه للخلق عند سیده نساء العالمین علیها السلام کذلک الحال فی بیانها الحرکه التاریخیه للنبوه، فقد أظهرت علیها السلام النقطه الأولی لانطلاق النبوه مع بیان العله فی وجودها وما یرافقها من سنن وما یتبعها من نتائج وما سبقها من مقدمات، ظهرت آثارها فی الأمم التی بعثت فیها الأنبیاء، فتقول علیها السلام:

«وأشهد أن أبی محمدا عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغیب مکنونه، وبستر الأهاویل مصونه، وبنهایه العدم مقرونه؛ علما من الله تعالی بمآیل الأمور، وإحاطه بحوادث الدهور، ومعرفه بمواقع المقدور.

ابتعثه الله إتماما لأمره، وعزیمه علی إمضاء حکمه، وإنفاذا لمقادیر حتمه»(۱).

وهنا تبدأ سیده نساء العالمین علیها السلام فی تحدید نقطه انطلاق الحرکه التاریخیه للنبوه، والتی تتمیز بمیزات منها:

۱- الاحتجاج للطبرسی، خطبه الزهراء صلوات الله وسلامه علیها: ج ۱، ص ۱۳۳.

١ . إنّ الله تعالى خلق الخليفه قبل الخليقه، بمعنى قدم خلق النبى المصطفيصلى الله عليه وآله وسلم قبل خلق الخلائق بزمن لا يعلم مقداره إلا الله تعالى ورسول الله وعترته عليهم السلام.

وهو ما عبرت عنه بقولها عليها السلام:

«اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه».

٢ . تقديم الحركه التاريخيه للنبوه على الحركه التاريخيه للخلق بثلاث مراحل زمنيه:

المرحله الأولى: مرحله مكنون الغيب، وهى أولى المراحل لحركه تاريخ الخلق حيث كانت الخلائق فى مكنون الغيب فلا يعلم أين كانت إلّا الله تعالى.

المرحله الثانيه: مرحله ستر الأهاويل، أى: أن هذه الخلائق كانت محاطه بستر يمنعها من الظهور، والهول: هو الفزع، فيكون الفزع هو الذى يصونها، أى يحفظها.

المرحله الثالثه: مرحله إقران العدم، أى ان هذه الخلائق لولا بعث المصطفيصلى الله عليه وآله وسلم لكانت معدومه من نعمه الظهور والفوز بالخلود بالجنه نتيجه للطاعه وتجنباً للمعصيه.

٣ . بيان العله فى تقديم حركه تاريخ الخليفه، أى: النبوه على حركه تاريخ الخليقه هو لما يلى:

أ . علم الله تعالى بما تؤول إليه الأمور.

ب . إحاطته عز وجل بحوادث الدهور، أى الأزمنه.

ج . معرفته تعالى بمواقع المقدور، وفى روايه بمواقع الأمور.

فهذه الأسباب كانت وراء تقديم حركه تاريخ النبوه على حركه تاريخ الخلق، أى الخليفه قبل الخليقه.

۴ . إنّ الحكمه فى بعث النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كانت فيما يلى:

أ . إتمام لأمر الله تعالى.

ب . عزيمه على إمضاء حكمه الله تعالى.

ج . وإنفاذ لمقادير حتم الله تعالى.

وعليه؛

يظهر مما تقدم فوائد تحديد سيده النساء عليها السلام لنقطه انطلاق الحركه التاريخيه للنبوه.

المسأله الثالثه: وقائع الحركه التاريخيه الأمميه

ثم تنعطف سيده النساء عليها السلام بعد بيانها لبدء الحركه التاريخيه للنبوه إلى الحركه التاريخيه الأمميه من خلال سير الرساله المحمديه فى الأمم، فتسجل الحركه التاريخيه للنبوه ما رأته من وقائع فى الأمم السابقه.

فقالت عليها السلام:

«فرأى الأمم فرقا فى أديانها، عكفا على نيرانها، عابده لأوثانها، منكره لله مع عرفانها»(١).

١- الاحتجاج للطبرسى، خطبه الزهراء عليها السلام: ج ١، ص ١٣٣. الانتصار للعاملى: ج ٧، ص٣٦٨.

بمعنی:

أن النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم فی أثناء الحرکه التاریخیه لنبوته رأی أربع وقائع فی الأمم السابقه.

وهی الآتی:

الواقعه التاریخیه الأولی: أن هذه الأمم متفرقه فی أدیانها، بمعنی أن کل أبناء مله واحده ودین واحد متفرقون فی دینهم.

الواقعه التاریخیه الثانیه: أنّ هذه الأمم عکف علی عباده النیران.

الواقعه التاریخیه الثالثه: أنها تعبد الأوثان.

الواقعه التاریخیه الرابعه: أنها منکره لله مع عرفانها بالخالق عز وجل وهذا أعلی مراتب الجحود.

وعلیه؛

کیف کان عمل النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی إصلاح هذه الأمم؟.

قالت علیها السلام:

«فأنـار الله بـأبی محمـد صـلی الله علیه وآله وسـلم ظلمهـا، وکشف عن القلوب بهمهـا، وجلاـ عن الأبصار غممها، وقام فی الناس بالهدایه، فأنقذهم من الغوایه، وبصرهم من العمایه، وهداهم إلی الدین القویم، ودعاهم إلی الطریق المستقیم»(۱).

وهنا: بیان لإنجازات النبوّه المحمدیه فی حرکتها التاریخیه الأممیه؛ بمعنی: أنّ النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم حینما تقدم خلقه علی خلق الأمم فکانت حرکه تاریخ

۱- الاحتجاج للطبرسی، خطبه الزهراء علیها السلام: ج ۱، ص ۱۳۳.

النبوه أقـدم من حركه تاريخ الأمم لزم ذلك أن يكون النبى الأعظم صـلى الله عليه وآله وسـلم قد شاهد سـلوك تلك الأمم منذ أن قدر الله تعالى لها العيش على هذه الأرض واختلاف أزمانها وتنوع أجناسـها وألوانها وألسـنتها وأنبيائها الذين بعثهم الله تعالى إليها.

وهو ما دلّ عليه القرآن الكريم بقوله تعالى:

((فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا)) (۱).

إذن؛

اقتضت الحركه التـاريخيه النبويه أن تكون شاهـده على الحركه التـاريخيه الأـمميه ومـدونه للوقائع التاريخيه التى وقعت فى الأمم السابقه.

«فرأى الأـمم فرقـا فى أديانهـا، عكفـا على نيرانهـا، عابـده لأوثانها، منكره لله مع عرفانها فأنار الله بأبى محمـد صـلى الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلا عن الأبصار غممها، وقام فى الناس بالهدايه، فأنقذهم من الغوايه، وبصـرهم من العمايه، وهـداهم إلى الـدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المسـتقيم، ثم قبضه الله إليه قبض رأفه واختيار، ورغبه وإيثار، فمحمد صـلى الله عليه وآله من تعب هذه الدار فى راحه، قد حف بالملائكه الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاوره الملك الجبار، صـلى الله على أبى نبيه، وأمينه، وخيرته من الخلق وصفيه، والسلام عليه ورحمه الله وبركاته».

۱- سوره النساء، الآيه: ۴۱.

المسأله الرابعه: حرکه تاریخ العرب قبل الإسلام فی نظر سیده النساء علیها السلام

کثرت الـدراسات حول تاریـخ العرب قبل الإسـلام وبیان الجوانب الاجتماعیه والثقافیه والـدینیه والاقتصادیه لهم، وتشابهت هـذه الـدراسات قـدیما وحـدیثا فی بیانها للوضع المزری لهم علی هذه الأصـعده دون الترکیز علی دور الرساله المحمدیه وجهد النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم وجهاده فی نقل هذه الأمه من الحضیض إلی القمه، ومن الهمجیه إلی التمدن والحداثه.

وإذا أرادت بعض هذه الدراسات الحدیث عن ذلک فإنها تمرّ علیه مرورا عابرا.

فی حین أننا نجـد أن بضـعه النبی الأعظم صـلی الله علیه وآله وسـلم حینما تتحـدث عن حرکه تاریـخ العرب قبل الإسـلام وتبین الجوانب الاجتماعیه والثقافیه والعقائدیه لهم تتبعها بالتغیر الجذری لسلوک هذه الأمه وحرکتها من خلال دور النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم فی هذا البناء الجدید للأمه.

فتقول علیها السلام:

«وکنتم علی شـفا حفره من النـار، مـذقه الشـارب، ونهزه الطامع، وقبسه العجلان، وموطئ الاقـدام، تشـربون الطرق، وتقتاتون القد والورق، أذله خاسئین، تخافون أن یتخطفکم الناس من حولکم، فأنقذکم الله تعالی بأبی محمد صلی الله علیه وآله وسلم»(۱).

۱- شـرح الأخبار للقاضـی النعمان المغربی، خطبه الزهراء علیها السـلام: ج ۳، ص ۳۵. الاحتجاج للطبرسـی، خطبه الزهراء علیها السلام: ج ۱، ص ۱۳۵ و ۱۳۶. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج۲۹، ص ۲۳۶، خ ۹.

ورصدها عليها السلام للحياه التى كان عليها العرب قبل الإسلام كان مبنيا على الأسس البنائيه للمجتمع العربى بحيث إن هذا البناء المتآكل والمتصدع أوشك على السقوط والانهيار.

والزهراء عليها السلام حينما تستعرض الحاله العامه لتاريخ العرب تجمع فيما بين الحياه الدنيويه والأخرويه بجعل المقدمات التى كانت سببا فى إيجاد الخليقه هى خاضعه ومرتبطه بالنتائج التى سنها الله تبارك وتعالى فى سلوك هذه الخليقه، ولذا قالت: (وكنتم على شفا حفره من النار) أى إشاره إلى تحقيق نتيجه هذا السلوك فى الآخره مع تحقق نتيجته فى الحياه الدنيا.

ثم تنعطف عليها السلام إلى بيان الوضع النفسى العام لهذه الأمه، وهذه خصوصيه خاصه إذ اعتادت الدراسات على تشخيص الحاله النفسيه منفرده لكل شخص فى المجتمعات، أو انها تهمل دراسه الحاله النفسيه للمجتمع ككل، لكن الزهراء عليها السلام تتحدث عن الوضع النفسى العام الذى أصبح عليه العرب قبل الإسلام، وهى بذاك تعطى بيانا للمستوى الذى يشترك فيه الجميع كنتيجه طبيعيه لتوحد الجميع فى السلوكيات الفرديه فأصبح سلوكا جماعيا واحدا عند الجميع.

وهو ما أشار إليه قوله تعالى:

((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ))(١).

أى أصبح الجميع على سلوك واحد، وهو الأمر الذى أشارت إليه عليها السلام فى بيانها لصفات هذا السلوك الجماعى، وهى «مذقه الشارب، ونهزه الطامع، وقبسه العجلان، وموطئ الأقدام».

١- سوره الرعد، الآيه: ١١.

فهنا تحدد السيده فاطمه الزهراء عليها السلام أربع صفات خاصه بالمستوى النفسى للعرب وهى بمجموعها تدلل على الانهيار والخوف، والمذله، بحيث أصبحوا بفعل هذه الحاله (مذقه الشارب) أى: استلذاذ الآخرين بهم، لأن المذقه هى (الشربه من اللبن الممزوج بالماء)(۱).

و(نهزه الطامع)، أى: أصبحوا من الضعف فرصه لكل طامع وغنيمه يغتنمها الطماع(۲).

و(قبسه العجلان) وهنا تعطى صوره أخرى للمستوى الذى بلغ إليه العرب من الضعف بحيث كانوا حتى بالنسبه للشبعان الذى ليس له رغبه فى السلب، أن يأخذ منهم أى شىء فذاك أفضل من أن يفوته كل شىء، وما ذاك إلا لشده ضعفهم وتشتت أمرهم.

وهذه الصفه لها بيان آخر: وهو أنهم أصبحوا نهبا لكل من مرّ بهم، وأن هذا النهب والسلب كان سريعا، لأن القبس هو شعله من النار، والعجلان اسم سمى به شهر شعبان لقصر الصيام فيه ولانقضائه سريعا(۳).

ومن كان هذا حالهم، فهم موطئ الأقدام يسحقون كما تسحق الهوام، أذله خاسئين يخافون أن يتخطفهم الذين من حولهم من الفرس والروم، وهم الذين أشارت إليهم بلفظ الناس فيقودونهم عبيدا رجالا ونساءً.

۱- مجمع البحرين للطريحى: ج ۵، ص ۲۳۵.

۲- أنظر: لسان العرب لابن منظور: ج ۵، ص ۴۲۱، ماده (نهز). كتاب العين للفراهيدى: ج۴، ص۱۵.

۳- أنظر لسان العرب لابن منظور: ماده (عجل) ج ۱۱، ص ۴۲۶ و ۴۲۹. وانظر منه ماده (قبس) ج ۶، ص ۱۶۷.

وعليه؛ كيف ستقوم لهم قائمه؟، بل كيف يمكن أن يدفعوا عن أنفسهم الذل والمهانه والهوان وهم هذا حالهم؟!.

وهم مع هـذا الضـعف والـذل كـانوا يعيشون بطريقه همجيه أقرب ما تكون حيوانيه نتيجه لتفشّـى الجهل والفقر والـذل، فطباعهم ليست طباعاً بشريه، فقد كانوا يأكلون (القَدّ)(۱) وهی جلود الحیوانات! ويشربون الطّرْق(۲).

أی: ماء السـماء الذی يتجمع فی حفر صغيره فتبول به الإبل وتبعر!، بمعنى: أن حتى هذه الحيوانات لا تشرب من هذه الحفر، فأی مستوى من التردی والانحطاط على المستويات النفسيه والاجتماعيه والثقافيه كافه كان حال العرب قبل الإسلام.

ولذلک:

بعد هذا البيان لتاريخهم اتبعته عليها السـلام ببيان آخر وهو أن الحياه الكريمه التی أصـبحوا عليها بعد مرور ثلاث وعشـرين سنه، وهی الفتره الزمنيه التی عاشها النبی الأعظم بعد البعثه كان السبب الأول فيها هو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا قالت:

(فأنقذكم الله بأبی محمد صلى الله عليه وآله وسلم).

لكن كيف كانت عمليه الإنقاذ هذه؟! سؤال تجيب عليه سـيده النساء فاطمهعليها السلام ببيان آخر تعرض فيه تاريخ حركه السيره النبويه.

۱- انظر لسان العرب لابن منظور: ماده (قدد) ج ۳، ص ۳۴۴.

۲- لسان العرب لابن منظور: ماده (طرق).

المسأله الخامسه: بیان إنجازات النبوه فی حرکتها التاریخیه

اشاره

من الملاحظات التی لوحظت فی عرض السیده فاطمه علیها السـلام لحرکه التاریخ هو تتبعها بشکل دقیق لمراحل تطور البشریه، أی: أنها تمزج فی هذا العرض عامل الزمن کمصداق لمفرده الحرکه مع عامل التاریخ الذی یکون مصداقا للحدث.

وهنا: تقوم بضعه النبی الأعظم علیها السلام بعرض الحرکه التاریخیه للسیره النبویه فی ثلاثه محاور.

المحور الأول لهذه الحرکه التاریخیه یتمثل فی شخص النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم.

المحور الثانی لهذه الحرکه التاریخیه یتمثل فی عمل النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم.

المحور الثالث لهذه الحرکه التاریخیه یتمثل فی النتائج التی حققها النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم.

محاور حرکه تاریخ النبوه:

المحور الأول

تبدأ علیها السلام فی بیان هذا المحور بقوله تعالی:

((لَقَدْ جاءَکُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِکُمْ عَزِیزٌ عَلَیْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِیصٌ عَلَیْکُمْ بِالْمُؤْمِنِینَ رَءُوفٌ رَحِیم))(۱).

والآیه تبین ثلاثاً من صفات النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم:

الأولی: «علاقته صلی الله علیه وآله وسلم بأمته».

والثانیه: «صفاته الشخصیه فهو عزیز علیه ما عنتّم حریص علیکم، بالمؤمنین رءوف رحیم».

۱- سوره التوبه، الآیه: ۱۲۸.

والثالثه: «إنه عربی ومن قریش».

وهذا بحد ذاته یعطیهم زخما نفسیا ومعنویا؛ ثم تنطلق بعد هذه الآیه فتقول:

«فإن تعزوه وتعرفوه: تجدوه أبی دون نسائکم، وأخا ابن عمی دون رجالکم ولنعم المعزی إلیه صلی الله علیه وآله وسلم»(۱).

لأن النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم هو الذی أنقذهم من الهلاک والموت والاندثار، لذا قالت علیها السلام تجدوه أبی دون نساءکم.

هنا: بیان لحفظ هذا الشخص الذی أنقذهم من خلال حفظ ابنته، وأن لها خصوصیه خاصه بهذه الکینونیه.

وأن ابن عمها علی بن أبی طالب علیه السلام وهو زوجها له دونهم مثل ما لها من الخصوصیه المرتبطه بشخص هذا الرجل الذی أنقذهم من الهلاک والموت والاندثار.

لکنها وجدتهم قد أخلوا بهذا الجانب خللًا شدیدا؛ ولذا قالت: (ولنعم المعزی إلیه صلی الله علیه وآله وسلم) وهی فی نفس الوقت قد لوحت فی هذا المحور بتحرک السنن التاریخیه التی جرت فی الأمم السابقه کما سیمر بیانه.

المحور الثانی

وفی المحور الثانی فی عرضها علیها السلام للحرکه التاریخیه للسیره النبویه تقوم علیها السلام ببیان العمل الذی قام به النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم، فتقول:

«فبلغ الرساله، صادعا بالنذاره، مائلا عن مدرجه(۲) المشرکین،

۱- الاحتجاج للطبرسی، خطبه الزهراء علیها السلام: ج ۱، ص ۱۳۴ و ۱۳۵.

۲- المَدْرَجَهُ، الطریق: معظمه وسننه. لسان العرب: ماده (درج)، ج ۲، ص ۲۶۷.

ضاربا ثبجهم(۱)، آخذا بأکظامهم(۲)، داعیا إلی سبیل ربه بالحکمه والموعظه الحسنه، یجف الأصنام(۳)، وینکث الهام(۴)، حتی انهزم الجمع وولوا الدبر»(۵).

المحور الثالث

ثم بعد إیرادها لما قام به النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم من عملٍ انعطفت علیها السلام علی إیراد النتائج، فقالت:

«حتی انهزم الجمع وولوا الدبر، حتی تفری اللیل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعیم الدین، وخرست شقاشق الشیاطین وطاح وشیظ(۶) النفاق وانحلت عقد الکفر والشقاق، وفهتم بکلمه الإخلاص فی نفر من البیض الخماص(۷)»(۸).

۱- الثبج، ثبج کل شیء: معظمه، ووسطه، وأعلاه، والجمع أثباج (لسان العرب): ماده (ثبج).

۲- الکظیم، المکروب، ویقال: أخذ بکظمه فما یقدر أن یتنفس، أی أخذهم صلی الله علیه وآله وسلم فجعلهم لا یقدرون أن یتنفسوا، أنظر کتاب العین: ماده (کظم)، ج ۵، ص ۳۴۵.

۳- جُف الطلعه وعاؤها الذی تکون فیه، وجُف الشیء: شَخْصُه. لسان العرب: ماده (جفف).

۴- النکث: هو التفریق، والهام: هو الدماغ، فیکون المعنی: أنه صلی الله علیه وآله وسلم فرق ما علیه فکرهم الضال المنحرف.

۵- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص ۱۳۵. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج ۲۹، ص ۲۶۳.

۶- الوشیظ، کأمیر: الأتباع والخدم والأحلاف. «تاج العروس، الزبیدی: ج ۱۰، ص۴۹۷».

۷- الخمیص، عفیف البطن عن أموال الناس. «لسان العرب: ج۷، ص ۳۰».

۸- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص۱۳۵. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج۲۹، ص۲۶۳.

المسأله السادسه: حركه تاريخ الصحابه وأهل البيت عليهم السلام في حياه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

اشاره

بعد ذكرها عليها السلام لبيان الحركه التاريخيه للسيره النبويه وبيان إنجازاتها وجهادها ممثلا في ثلاثه محاور تنتقل بضعه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك لبيان الحركه التاريخيه لسير الصحابه وأهل البيت عليهم السلام أثناء حياه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وحينما نقف عند معاني هذا البيان، نجد أن الزهراء عليها السلام تحدد مسارين لهذه الحركه التاريخيه التي رافقت سير الدعوه النبويه.

المسار الأول: الحركه التاريخيه لمسير بعض الصحابه.

المسار الثاني: الحركه التاريخيه لمسير أهل البيت عليهم السلام ومعهم نفر من الصحابه.

أولاً: دلاله تحديد الحركه التاريخيه لكلا المسارين

ألف إن هذا التحديد في مسار الحركه التاريخيه لسير بعض الصحابه وأهل البيت عليهم السلام أثناء حياه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يظهر أن هذه الفتره الزمنيه كانت تشهد تجمعين وأن لكل منهما صفاته وإنجازاته وأهدافه.

باء إنّ هذين المسارين أخذا بالاستقلال في حركتهما التاريخيه بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحيث أصبح لكل منهما مدرسته الخاصه به وله أتباعه وتلاميذه الذين ينهلون منه أحكامهم وعقائدهم.

جيم ظهور بعض الخلافات بين أنصار أعمده هذين المسارين في هذه الفتره الزمنيه بسبب اختلاف الرؤى في فهم الرساله المحمديه وطريقه التعايش معها.

دال التباين في إنجازات كلا المسارين في الجهاد الميداني في ساحات الحروب أو الجهاد البنائي في نشوء المجتمع الجديد.

ثانیا: تباین المسارین فی الحرکه التاریخیه

إن من یقرأ التاریخ الإسلامی بعین البصیره والبحث العلمی والموضوعی لیری بوضوح هذا التباین لکلا المسارین فی الحرکه التاریخیه للسیره النبویه فی أثناء حیاه النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم.

أما من أناخ فی رحاب مدرسه العتره الطاهره فإنه لیجد الحقائق تتلألأ دون جهد أو عناء.

لاسیما وهو ینظر فی کلمات بضعه النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم، وهی تتحدث عن سیر الحرکه التاریخیه فی هذه الفتره الزمنیه من بعث النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم وإلی یوم وفاته. فتقول علیها السلام:

«وبعد أن منی النبی صلی الله علیه وآله وسلم ببهم(۱) الرجال وذؤبان العرب، ومرده أهل الکتاب، کلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشیطان(۲) أو فغرت(۳) فاغره من المشرکین قذف أخاه فی لهواتها(۴)»(۵).

۱- بهم الرجال: شجعانهم. (الاحتجاج للطبرسی: ج۱، ص۱۳۶).

۲- نجم: ظهر، وقرن الشیطان: أمته تابعوه. القرن: الروق من الحیوان، موضعه من رأس الإنسان وهو حد الرأس وجانبا. (تاج العروس للزبیدی: ج۱۸، ص۴۴۳).

۳- فغرفاه: أی فتحه، والفاغره من المشرکین: الطائفه منهم. (الصحاح للجوهری: ج۲، ص۷۸۲).

۴- قذف: رمی، واللهوات بالتحریک: جمع لهاه اللحمه فی أقصی شفه الفم. (الصحاح للجوهری: ج۶، ص۲۴۸۷).

۵- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص ۱۳۶. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج ۲۹، ص۲۲۴.

قبل أن تُظهر بضعه النبی الأكرم صلی الله علیه وآله وسلم صفات كلا المسارین التاریخیین تبدأ بذكر ما قام به رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من جهد وجهاد فی نشر الإسلام، ثم تعرض بعد هذه المقدمه حقیقه كلا المسارین فی التعامل مع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ودعوته التی جاء بها.

فتبدأ بذكر الحركه التاریخیه لمسار أهل البیت علیهم السلام فی هذه الفتره الزمنیه من عمر الرساله المحمدیه، فتقول:

«قذف أخاه فی لهواتها، فلا ینكفئ(۱) حتی یطأ صماخها(۲) بأخمصه(۳).

ویخمد لهبها بسیفه، مكدودا(۴) فی ذات الله، قریبا من رسول الله، سیدا فی أولیاء الله، وأنتم....»(۵).

ثم بعد بیانها للحركه التاریخیه لمسار أهل البیت علیهم السلام ممثلا فی هذه الفتره بشخص علی أمیر المؤمنین علیه السلام مع توصیف بلاغی دقیق فی دلالته وبیانه لكیفیه سلوك الإمام علی علیه السلام فی هذه الفتره، فتبدأ أولاً ببیان منزلته من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وقرابته الإیمانیه فتختار من تلك المنازل، منزله المؤاخاه، فتقول: «فقذف أخاه فی لهواتها».

۱- ینكفئ: یرجع فانكفؤوا أی رجعوا. (الصحاح للجوهری: ج۱، ص۶۷).

۲- الصماخ: فرق الأذن. (الصحاح للجوهری: ج۱، ص۴۲۶).

۳- الأخمص ما لا یصیب الأرض من باطن القدم. (تاج العروس للزبیدی: ج۹، ص۲۷۵).

۴- بئر كدود، إذا لم ینل ماؤها إلا بجهد.

۵- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص ۱۳۶. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج ۲۹، ص۲۲۴.

بمعنی:أن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم حینما کان یری یقدم المشرکون أو المنافقون یقدمون علی إشعال نار الفتنه أو الحرب فإن أول شیء یقوم به النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی محاربه هذا الفساد أن یقذف أخاه علیاً فی عمق فم الحرب، وهو «اللهاه».

ثانیاً: تُبین سیده النساء علیها السلام فی عرضها الحرکه التاریخیه لمسار أهل البیتعلیهم السلام فی حیاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، أن الوقائع التاریخیه التی سجلتها هذه الحرکه تمثلت بما یلی:

۱ . إنّ الإمام علیاً علیه السلام لا یرجع من الحرب «حتی یطأ صماخها بأخمصه»، أی: یطأ وسط رأس هذه الفتنه بباطن قدمه وهو الأخمص.

۲ . یخمد لهب هذه النار بسیفه وهو کنایه عن قتل رؤساء الفتنه.

۳ . مکدوداً، أی مجداً مجتهداً فی ذات الله تعالی.

۴ . قریباً من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لا یفارقه مع وجود رتبه القرابه الإیمانیه والرحمیه.

۵ . سیداً فی أولیاء الله تعالی.

هذه الوقائع التاریخیه لمسار حرکه تاریخ أهل البیت علیهم السلام فی حیاه رسول اللهصلی الله علیه وآله وسلم قابلها تسجیل للوقائق التاریخیه لمسار حرکه تاریخ بعض الصحابه فی حیاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم.

فکانت کالآتی:

قالت علیها السلام:

«وأنتم أی: المهاجرون والأنصار فی رفاهیه من العیش، وادعون

فاکهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوکفون(۱) الأخبار وتنکصون(۲) عند النزال، وتفرون من القتال»(۳).

فأول هذه الوقائع التاریخیه هو: انهم کانوا فی رفاهیه من العیش، أی لم تشغلهم تلک الفتن التی یثیرها المشرکون فی المجتمع الإسلامی.

ثانیاً: «وادعون» أی أنهم یترکون النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم مع أهل بیته وتلک الثله من أصحابه التی وصفتها بالنفر البیض الخماص یواجهون الأخطار.

ثالثاً: «فاکهون» قد انصرفوا إلی ملذات المعیشه من الأکل والشراب فی حال کان النبی وأهل بیته وأولئک النفر البیض الخماص فی جهد وجهاد وزهد وکفاف.

رابعاً: «آمنون» لم یشترکوا فی الحروب لا- بأنفسهم ولا- بأهلیهم ولا- بأموالهم ولذا هم آمنون بترکهم الجهاد وهم آمنون بفعل اتکالهم علی جهد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وأهل بیته علیهم السلام ونفر من أصحابه رضی الله عنهم.

خامساً: من الوقائع التاریخیه لمسیر بعض الصحابه انهم کانوا یتربصون بأهل البیت علیهم السلام الدوائر وهذا اللفظ من بضعه المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم یظهره القرآن فی بیانه للوقائع التاریخیه للمنافقین والأعراب.

۱- تتوقعون أخبار المصائب والفتن النازله بنا، التوکف: التوقع، یقال: مازلت أتوکفه حتی لقیته. (الصحاح للجوهری: ج۴، ص۱۴۴۱).

۲- النکوص: الأحجام عن الشیء، ویقال: نکص علی عقبیه، ینکص وینکص، أی رجع. (الصحاح للجوهری: ج۳، ص ۱۰۶۰).

۳- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص ۱۳۶.

فقال تعالی:

((إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِی جَهَنَّمَ جَمِيعًا (۱۴۰) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَهِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا))(۱).

وقال عز وجل:

((وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَهُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) (۲).

سادساً: «وتتوكفون الأخبار»، أی: كانوا يتوقعون الأخبار السيئه بأهل البيت عليهم السلام ليفرحوا بها.

سابعاً: «تنكصون عند النزال»، النكص؛ الإحجام، أو التراجع، أی: كانوا يتراجعون عند النزال فلا يواجهون الخصم بسبب الخوف لكونهم جبناء.

ثامناً: ومن الوقائع التاريخيه التی سجلت لأولئك الأعراب انهم كانوا يفرون فی القتال، والفرق بين النكوص عند النزال وبين الفرار؛ وان كان السبب فی حدوثهما واحداً وهو الخوف والجُبن؛ فان النكوص أو التراجع يكون فی المواجهه الفرديه شخصاً لشخص والفرار فی القتال يكون فی الأغلب عند اشتباك القوم جميعاً.

۱- سوره النساء، الآيه: ۱۴۰ ۱۴۱.

۲- سوره التوبه، الآيه: ۹۸.

فعنـدها لا يميز بين من يقاتل بشـجاعه فى الوهله الأولى على من اختار الفرار وهى فرصه لمن رغب بـذلك كى لا يفتضـح أمره ويُشخص.

ولذلك:

يعد الفرار أكبر ضرراً من التراجع لما يحدثه من ضرر على الجماعه أو الجيش.

ولذا: عدّ الفرار من الذنوب الكبائر.

هـذا التباين الواضـح فى الوقائع التاريخيه لكلا المسارين ألقى بثقله على الحركه التاريخيه للإسـلام بعد وفاه رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم، ممـا أدى إلى تقـديم التاريـخ بوجهين مختلفين تكونت ملامحهما فى أروقه المـدارس التاريخيه الإسـلاميه فى المدينه والكوفه والشام، وقد أخذت السـياسه الحاكمه من تحديد هذه الحركه التاريخيه مأخذاً كبيراً فغيبت وقائع وغيرت حقائق لا يسعنا ذكرها(۱).

بـل: قـد تـدخلت السـلطات الحـاكمه بعـد وفـاه رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم بشـكل جـذرى فى الحركه التـاريخيه لكلا المسارين.

وجدير بنا ونحن ندرس الحركه التاريخيه عند بضـعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن نستوفى ما جاء عنها عليها السلام فى بيان هذه الحركه ومراحل تنقلها حسـبما وضـعته الزهراء عليها السـلام من محطات زمنيه لهذه الحركه التاريخيه التى ابتدأتها من نقطه الانطلاق الأولى لتاريخ خلق الوجود وإلى انتهاء عمر الدنيا، وما ارتبط بهذه الحركه التاريخيه من سـنن إلهيه رافقت الأمم السابقه وسترافق هذه الأمه.

۱- أنظر: الشـيعه والسـيره النبويه بين التـدوين والاضـطهاد، للمؤلف. وهى دراسه فى نشأه علم السـيره وتطوره خلال القرن الأول والثانى للهجره.

المسأله السابعه: الحرکه التاریخیه للمسلمین بعد وفاه رسول اللهصلی الله علیه وآله وسلم

من المحطات التی عرضت فیها بضعه النبی صلی الله علیه وآله وسلم الحرکه التاریخیه الکونیه، هی الفتره الزمنیه التی أعقبت وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم والتی توضح فیها حرکه تاریخ المسلمین. فتقولعلیها السلام:

«فلما اختار الله لنبیه دار أنبیائه، ومأوی أصفیائه، ظهر فیکم حسیکه(۱) النفاق، وسمل جلباب(۲) الدین، ونطق کاظم الغاوین(۳)، ونبغ خامل الأقلین(۴)، وهدر فنیق المبطلین(۵)، فخطر فی عرصاتکم(۶)، وأطلع الشیطان رأسه من مغرزه(۷) هاتفا بکم، فألفاکم لدعوته مستجیبین، وللعزه فیه ملاحظین، ثم استنهضکم فوجدکم خفافا، وأحمشکم(۸) فألفاکم غضابا فوسمتم غیر إبلکم، ووردتم غیر مشربکم، هذا والعهد قریب والکلم رحیب، والجرح لما یندمل والرسول لما یقبر، ابتدارا، زعمتم خوف الفتنه.

۱- الحسک: ما یعمل من الحدید علی مثاله، وهو من آلات العسکر، وقولهم: فی صدره، علی حسیکه وحساکه، أی منغن وعداوه. (الصحاح للجوهری: ج۴، ص۱۵۷۹).

۲- ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلویه المرأه علی رأسها وتبقی منه ما ترسله علی مدرها. (مجمع البحرین للطریحی: ج۱، ص۳۸۴، باب ج).

۳- الضالین: غوی، الغی: الضلال والخیبه.

۴- الخامل: من خفی ذکره وکان ساقطا لا نباهه له. (الصحاح للجوهری: ج۴، ص۱۶۸۹).

۵- الهدیر: تردید البعیر صوته فی حنجرته. (الصحاح للجوهری: ج۲، ص۸۵۲). الفنیق: النمل المکرم من الإبل الذی لا یرکب ولا یهان. (الصحاح للجوهری: ج۴، ص۱۵۴۵).

۶- خطر: خطر البعیر بذنبه إذا رفعه مره بعد مره ومزب به فخذیه. (تاج العروس للزبیدی: ج۶، ص۳۵۷). العرصه: کل بقعه بین الدور واسعه لیس فیها بناء. (الصحاح للجوهری: ج۳، ص۱۰۴۴).

۷- مغرزه: أی ما یختفی فیه تشبیها له بالقنفذ فإنه یطلع رأسه بعد زوال الخوف.

۸- أی حملکم علی الغضب فوجدکم مغضبین لغضبه.

((أَلَا فِی الْفِتْنَه سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَهٌ بِالْکَافِرِینَ))(۱)»(۲).

وهذا البیان الذی تعرض فیه الزهراء علیها السلام سیر الحرکه التاریخیه للمسلمین بعد وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قد تضمن میزات عده، وهی کما یلی:

أولاً فضلاً عن بیانها علیها السلام للحرکه التاریخیه للمسلمین بعد وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فإنها تخص ضمناً أول السنن التاریخیه وقوعاً لهذه الأمه.

ثانیاً إظهار للنتائج التی أعقبت المقدمات وهی الوقائع التاریخیه للمسلمین فی هذه الفتره الزمنیه.

ثالثاً تحدید دقیق لعامل الزمن الذی بدأت فیه الحرکه التاریخیه للمسلمین بمرحله جدیده، أی: من وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إلی حین مواراته فی روضته المقدسه وهی ثمان وأربعون ساعه.

فقد توفی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یوم الاثنین ثم ووریّ الثری لیله الأربعاء(۳).

فعلی رغم قصر هذه الفتره الزمنیه إلاّـ أنها شهدت من الوقائع التاریخیه الشیء کثیر؛ فکیف کانت صوره الحرکه التاریخیه للمسلمین التی بدأت عجلاتها بالدوران وهی تسجل مرحله جدیده من السیر؟.

۱- سوره التوبه، الآیه: ۴۹.

۲- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص ۱۳۶ و ۱۳۷.

۳- الطبقات الکبری لابن سعد: ج۲، ص۳۰۵.

المسأله الثامنه: الوقائع التاريخيه التى كانت مقدمات للسنن الأمميه

اشاره

تستعرض سيده النساء فاطمه عليها السلام ما حدث من الوقائع التاريخيه بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتى تعد مقدمات لوقوع السنن التاريخيه التى جرت فى الأمم السابقه، فها هى اليوم قد وقعت فى أمه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

فكانت نتيجه حتميه لما شهدته المرحله الأولى من الحركه التاريخيه للمسلمين أثناء حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتباين المسارين فيها، أى مسار أهل البيت ليهم السلام مع نفر من الصحابه، يقابلها أصحاب المسار الثانى وهم الأعراب النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

والسبب فى حدوث هذين المسارين كما أسلفنا نردّه إلى اختلاف الرؤى والفهم والاعتقاد بالنبوه.

تستعرض سيده النساء عليها السلام تكمله هذا المسار الذى ظهرت مكوناته بصوره مموهه من خلال الوقائع التاريخيه التى مرّ ذكرها فى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى واقع علنى يضرب بقوه فى حركه تاريخ المسلمين مسجلا فيه عدداً من الوقائع التاريخيه المتسارعه الحدوث والتى خلفت آثاراً ونتائج متسارعه أيضاً، وهى كالآتى:

قالت عليها السلام:

«فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم».

فما الذى ظهر فى الوقائع التاريخيه فى المسلمين؟.

الواقعه التاریخیه الأولی: «حسکه النفاق، أو حسیکه النفاق»

وهی: الحقد، والعداوه، والضغن، وقد ورد فی الحدیث الشریف عن النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال:

«إن الرجل یعطی المرأه حتی یبقی ذلک فی نفسه علیها حسیکه»(۱).

أی: حقد.

أی: أن هؤلاء الأعراب قد بلغ النفاق فی قلوبهم أعلی درجاته بحیث تحول إلی حقد وعداوه وبغض وهی حقیقه قرآنیه ونبویه.

أما القرآن الکریم فیقول تعالی:

((فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا))(۲).

وأما النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم فقد أوضح الطبیعه السلوکیه للنفاق وارتباطها بالقلب من حیث تعلق حاله الحب والبغض به.

أی: ان الحب والبغض حالتان وجدانیتان ونفسیتان من لوازم القلب، فإذا مرض القلب بالبغض بفعل النفاق انعکس ذلک علی السلوکیات فیترجم فی علاقه المسلم بعلی بن أبی طالب علیه السلام.

قال صلی الله علیه وآله وسلم لعلی بن أبی طالب علیه السلام:

«لا یحبک إلا مؤمن ولا یبغضک إلا منافق»(۳).

۱- المصنف للصنعانی، باب: غلاء الصداق، ج۶، ص۱۷۴.

۲- سوره البقره، الآیه: ۱۰.

۳- مسند أحمد بن حنبل، مسند علی بن أبی طالب علیه السلام: ج۱، ص۹۵، سنن الترمذی: ج۵، ص۳۰۷.

ولـذلک ظهر هـذا النفاق بعـد أن ملئ القلب وسـیطر علی المشاعر فانقاد الذهن له أن أدی إلی العداوه والحقد، لان البغض أول مراتب النفـاق وهو حاصـل من خلاـل بغض الأـعراب والمنـافقین للإمـام علی بن أبی طـالب علیه السـلام کما ورد فی الحـدیث النبوی.

إذن؛

أول الوقائع التاریخیه ظهوراً فی حرکه تاریخ المسـلمین هی ترجمه النفاق إلی واقع سـلوکی شوهد علی الأرض من خلال معاداه أهل البیت علیهم السلام.

الواقعه التاریخیه الثانیه: «سمل جلباب الدین»

وبیان هذه الواقعه التاریخیه یحتمل بعض الوجوه، وهی کالآتی:

ألف. إن طبیعه المنـافق أن یتظاهر بالإیمان ویبطن الکفر، بمعنی تراه حاضـراً فی مواطن المظاهر الإسـلامیه کالمساجـد والصـلاه فیها أو الـذهاب إلی بیت الله تعالی لأداء فریضه الحـج والعمره وغیرها من المظاهر الإسـلامیه التی تعـد جمیعها ثوب الـدین وهو الذی عبرت عنه السیده الزهراء علیها السلام بالجلباب.

الا أن الواقعه التاریخیه التی کشفت سلوکیات هؤلاء الأعراب هو ترکهم لهذه المظاهر علناً دون أی رادع یردعهم عن ذلک.

وعلیه؛ فیکون بیان هذه الواقعه التاریخیه: هو انحسار هذه المظاهر الدینیه لدرجه التحریف فی الثوب.

الوجه الآـخر: أن یکون المعنی من هـذه الواقعه التـاریخیه هو منع أهـل البیت علیهم السـلام من القیـام بـدورهم من کونهم الستر الذی یستتر به المسلم علی دینه،

فلاـ يقع فى الضلال والفتن والشبهات، ولذا فهو أصبح اليوم مهتوك الستر ترد عليه الشبهات والفتن فترديه فى دينه فيهلك، ويهلك معه دينه.

ومما يدل عليه:

ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام فى بيان هذا المعنى.

١ . قال عليه السلام:

«هُدى من تجلبب بجلباب الدين»(١).

وقطعاً لا يراد بالهدى الذى يهتدى به الإنسان هو هذه المظاهر التى يشترك فى أدائها المؤمن والمنافق كالصلاه مثلًا.

وإنما الجلباب الذى يهتدى من تجلبب به هو الولايه لأهل البيت عليهم السلام، كما أوصى النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أمته بذلك قائلًا:

«إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض؛ وأهل بيتى، أذكركم الله أهل بيتى، أذكركم الله أهل بيتى، أذكركم الله أهل بيتى»(٢).

٢ . فى خطبه له عليه السلام يخاطب بها المسلمين لاسيما أولئك الذين تصدوا لتحديد مسار الحركه التاريخيه لبعض الصحابه فيقول:

«سترنى عنكم جلباب الدين، وبصّرنيكم صدق النيه»(٣).

١- عيون الحكم والمواعظ: ص٥١٢.

٢- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: ج٣، ص٤٧٨.

٣- الإرشاد، للمفيد: ج١، ص٢٥٤؛ الجمل، لابن شدقم المدنى: ص١٥٢؛ البحار: ج٣٢، ص٢٣٧.

قال ابن أبی الحدید فی بیان معنی هذا الحدیث: إن إظهارکم شعار الإسلام عصمکم منی مع علمی بنفاقکم؛ وإنما أبصرت نفاقکم وبواطنکم الخبیثه بصدق نیتی، کما یقال: «المؤمن یبصر بنور الله»(۱).

وقد أخبر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ابنته فاطمه عما یجری من بعده، ولاسیما هذه الوقائع التاریخیه فقال صلی الله علیه وآله وسلم:

«فأنت أول من تلحقین بی مظلومه مغصوبه، وسوف تظهر بعدی حسیکه النفاق ویسمل جلباب الدین، أنت أول من یرد علی الحوض»(۲).

الواقعه التاریخیه الثالثه: «نطق کاظم الغاوین، ونبغ خامل الأقلین، وهدر فنیق المبطلین»

یمکن أن نستظهر من خلال هذه الواقعه التاریخیه المتسارعه فی ظهور السنن التاریخیه الحقائق التالیه:

ألف هذه العناوین الثلاثه تدل علی تشکل ثلاث مجموعات فی المجتمع الإسلامی فی حیاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم؛ وأنّ هذه المجموعات لها قاده. إلا أن ظهورها علی الساحه کان عند وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم. وهذه المجموعات هی:

أولاً: مجموعه الغاوین.

ثانیاً: مجموعه الأقلین.

ثالثاً: مجموعه المبطلین.

۱- شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید: ج۱، ص۲۰۷.

۲- البحار للمجلسی: ج۳۶، ص۲۸۸.

هـذه المجموعـات الإسـلاميه تبلورت على الحيثيه العقائـديه لاـ الاجتمـاعيه الخاضـعه لضوابط الأحساب والأنساب والفقر والغنى وحدودها، وانما ارتكزت على العقيده بالنبوه حركه تاريخيه لهذه الأمه بدأت منذ وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولـذا فالحـديث يـدور حول تشـكل فرق عقائديه ضـمن أنماط وسـلوكيات خاضـعه لمفاهيم محدوده فى التعاطى مع النبوه ومن اعتقد بها.

وأن هذه المجموعات أو الفرق الدينيه قد لعبت دوراً مميزاً فى توجيه الحركه التاريخيه للمسـلمين، ناهيك عن امتيازها فى وضع حجر الأساس بسريان السنن التاريخيه فى هذه الأمه.

وهو ما أظهرته سيده النساء فاطمه الزهراء عليها السلام فى خطبتيها الاحتجاجيتين العامه والخاصه(۱).

باء إنّ أئمه هذه المجموعات كانوا قبل وفاه رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وأثناء سير الحركه التاريخيه للمسلمين فى حاله من التخفى والإهمال والانزواء، بل لم يكن لهم ظهور قيادى لهذه المجموعات.

والسبب فى ذلك يعود إلى ثلاثه أمور:

۱. خوفاً من أن يقدموا على عمل يكشف حقيقه اعتقادهم بالنبوه فلا يستطيعوا بعد ذلك القيام بما يخططون له، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى:

۱- الخطبه الاحتجاجيه العامه ألقتها سيده النساء فاطمه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جمع من صحابه النبى صلى الله عليه وآله وسلم، أمّا خطبتها الاحتجاجيه الخاصه فهى التى كانت مع بعض نساء المهاجرين والأنصار قبل وفاتها صلوات الله وسلامه عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها.

((يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِی قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ)) (۱).

وقد أشارت إلیه الزهراء علیها السلام فی قولها:

«تتربصون بنا الدوائر، وتتوکفون الأخبار».

أی یتبعون الأخبار ویتوقعون حدوث أمر سیّئ کی یبادروا إلی ما عزموا علیه وترصدوا له.

۲. إن مکوناتهم النفسیه لم تسمح لهم من البروز فهم من حیث التنشئه الاجتماعیه قد تربوا علی الخمول والنبذ، لم یلاقوا أی اهتمام أو عنایه إما لکونهم أعراباً وإما لأنهم عبید عند أشراف قریش ووجهائها فهم بتلک التنشئه الاجتماعیه مسرعون فی الإغواء یتبعون کل باطل. حتی ظهر فیهم من کان أرذلهم بحیث لا یملک القدره علی الإفصاح وهو ما عبرت عنه بضعه النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم بقولها:

«ونطق کاظم الغاوین».

وهم بفعل هذه المکونات النفسیه والنشوئیه التی جعلت منهم أقل الناس شأناً لا یستطیعون الحرکه أو التعایش مع الناس، فهم فی خمول ورکود إلا أن رحیل النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم مکّن أخمل هذه المجموعه من النبوغ أی الظهور والبروز بعد أن کان طابعه الکسل وشأنه الضمور والانزواء.

۳. إنّ الدوافع الشخصیه الممثله فی السعی من أجل بلوغ السلطه والجلوس فی محل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ومعایشت الإمبراطوریات المعاصره کالرومانیه والفارسیه

۱- سوره التوبه، الآیه: ۶۴.

دفعت بعض النفوس إلى الادعـاء والسـعی بأحقیتهـا بمقام الحاکمیه التی کانت لهرم السـلطه الـدینیه الممثله برسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم. ومن هنا أطلق علیها لفظ الخلافه.

فهؤلاء أسـمتهم سـیده النساء فاطمه علیها السـلام ب«المبطلین»، ثم شـخصت علیها السـلام فی بیانها لرموز هـذه الواقعه التاریخیه صفه قائـد هـذه المجموعه التی لم تکن تظهر نوایاهـا فی حیـاه رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم إلا أن وفاته کانت سـبباً فی تجمع هؤلاء ضمن معطیات نفسیه واحده وهی بلوغ السلطه.

إلا أن الذی تمکن البروز منهم هو «الفنیق»، والفنیق: لغه فحل الإبل، والهدر هو صوت البعیر الذی یتلجج فی عنقه.

ووصفها علیها السلام لقائد المبطلین بهذه الصوره هو لکونه أشدهم حرصاً علی بلوغ السلطه والجلوس علی سدّه الحکم.

وفی صوره أخری تتحـدث عن هـذه المرحله التـاریخیه ومـا أعقبتهـا من آثـار ینقلهـا الإمام أمیر المؤمنین علیه السـلام فی خطابه لأقطاب الجمل، قال علیه السلام:

«بنا اهتدیتم فی الظلماء، وتسنمتم ذروه العلیاء، وبنا انفرجتم عن ...».

إلی قوله:

«من وثق بماء لم یظمأ»([۱]).

لتشـکل هـذه الصوره وتلـک اللتین نقلهما إلینا علی وفاطمه علیها السـلام حقیقه الحرکه التاریخیه للمسـلمین بعـد وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وما تبعها من وقوع للسنن التاریخیه التی جرت فی الأمم السابقه.

۱- ()الإرشاد للمفید: ج۱، ص۲۵۴؛ شرح نهج البلاغه للمعتزلی: ج۱، ص۲۰۷.

المبحث الثانی: السنن التاریخیه عند فاطمه الزهراء علیها السلام

اشاره

مثلما کانت الحرکه التاریخیه تحظی باهتمام بضعه النبی صلی الله علیه وآله وسلم کذلک هو حال السنن التاریخیه، فقد رکزت علیها سیده النساء فاطمه علیها السلام متبعه فی ذلک النهج القرآنی والنبوی فی بیان السنن الإلهیه وتوضیحها والتی أجراها الله} فی الأمم السابقه.

وحیث أن هذه الأمه ستسیر تبعا لما سارت علیه الأمم السابقه، لاسیما السنن التاریخیه التی لحقت ببنی إسرائیل؛ حسبما أوضحه النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم، فإن هذه الأمه ستحذو فی سیرها حذو الأمم السابقه؛ بل ستظهر فی هذه الأمه بعض السنن التاریخیه الجدیده التی لم تقع فی الأمم السابقه کسنه قتل أولاد الأنبیاء وما أعقبها من نتائج، وغیر ذلک من السنن.

المسأله الأولی: سنه الوقوع فی الفتنه بین المقدمات والنتائج

حینما تتحدث الزهراء علیها السلام عن هذه السنه التاریخیه التی وقع فیها المسلمون بعد وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لم یکن حدیثها مجرد استعراض لهذه السنه أو غیرها، أی لم تکن تتحدث عنها بوصفها حدثاً تاریخیاً وقع وانتهی الحال.

وإنما تعطی المقدمات التی تهیأت لهذه السُنّه والنتائج التی أفرزتها فتبدأ أولا بذکر مقدمات الوقوع فی الفتنه، فتقول:

«فلما اختار الله لنبیه دار أنبیائه، ومأوی أصفیائه، ظهر فیکم حسیکه النفاق، وسمل جلباب الدین، ونطق کاظم الغاوین، ونبغ خامل

الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر فی عرصاتکم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بکم»(۱).

هـذه المقـدمات لتکوّن الفتنه ونشوئها، اتبعتها الزهراء عليها السـلام ببيان لتفاعل هـذه المقدمات ونموها وتکامل تکوينها، فتقول بعـد أن تهيأت المقـدمات الـتی مکنت الشـيطان من إخراج رأسه من مخـدعه، فتبعه نمـو وتکامـل ونضـوج للفتنه، فتقـول عليها السلام:

«وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بکم، فألفاکم لدعوته مستجيبين، وللعزه فيه ملاحظين، ثم استنهضکم»(۲).

وهنا مرحله أخری من نضوج الفتنه، وهی استظهار للسلوک العام، فتقولعليها السلام:

«ثم استنهضکم فوجدکم خفافا، وأحمشکم فألفاکم غضابا»(۳).

أی:

أصـبحوا فی مرحله النضوج والتکامـل الفتنی إلی ما قبل الانفجار، وهو أشـبه ما يکون بالبرکان الـذی تجمع تحت قشـره الأرض ولم يبقَ لظهوره سوی وجود فتحه صغيره.

وهذا الحال نفسه انعکس علی الواقع الإسلامی فی هذه الفتره الزمنيه، فکانت النتيجه ما يلی:

۱- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص ۱۳۶ و ۱۳۷.
۲- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص ۱۳۶ و ۱۳۷.
۳- المصدر السابق.

قالت علیها السلام:

«فوسمتم غیر إبلکم، ووردتم غیر مشربکم».

أی الوقوع فی التیه بعد فتره قصیره جدا من وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فکیف سیکون حالکم بعد سنین، وأی مستقبل سیکون لکم؛ ولذا قالت:

«هذا والعهد قریب، والکلم رحیب، والجرح لما یندمل والرسول لما یقبر، ابتدارا، زعمتم خوف الفتنه.

((أَلَا فِی الْفِتْنَهِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَهٌ بِالْکَافِرِینَ)) (۱)».

أی: انکم جرت فیکم سنه الوقوع فی الفتنه کما جرت فی الأمم السابقه فهلکوا فیها.

المسأله الثانیه: سنه تضاعف النتائج

مثلما قدر الله عز وجل فی الحیاه الدنیا سنه مضاعفه نتائج الأفعال کنتیجه تدحرج کره الثلج، أو سریان الموج فی المحیطات، أو سریان النار فی الغابات، وغیرها من الشواهد التی تتحدث عن هذه السنه الکونیه فی مضاعفه النتائج کذلک الحال فی السنن التاریخیه التی تتحدث عن سلوکیات الأمم والمجتمعات، بل والسلوک الفردی أیضا.

وفی هذه السُنه التاریخیه تقول الزهراء علیها السلام:

«ثم لم تلبثوا إلا ریث أن تسکن نفرتها ویسلس قیادها»(۲).

۱- سوره التوبه، الآیه: ۴۹.

۲- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱. أعیان الشیعه لسید محسن الأمین: ج ۱، ص ۳۱۶.

أی: سوف لن یطول الأمر، بل ستتسارعون فی مضاعفه نتائج الوقوع فی الفتنه بزمن قصیر کنفره الدابه، ثم یسهل قیاده الفتنه فی مضاعفه الانحراف فتتضاعف النتائج السلبیه.

وتمضی علیها السلام فی بیان هذه السُنه التاریخیه فتقول:

«ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهیجون جمرتها، وتستجیبون لهتاف الشیطان الغوی، وإطفاء أنوار الدین الجلی، وإهمال سنن النبی الصفی، تشربون حسوا فی ارتغاء، وتمشون لأهله وولده فی الخمره والضراء، ویصیر منکم علی مثل حز المدی ووخز السنان فی الحشاء، وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا.

((أَفَحُکْمَ الْجاهِلِیَّهِ یَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُکْماً لِقَوْمٍ یُوقِنُونَ))(۱)»(۲).

هذا التسارع فی مضاعفه النتیجه واتساع دائره أضرارها هی من السنن التاریخیه التی جرت فی الأمم السابقه، کقوم لوط الذین تضاعفت نتیجه سلوکهم فی الاکتفاء بالرجال إلی تصمیمهم علی أن یخزوا لوطاً علیه السلام فی ضیفیه وهم الملائکه؛ ثم تضاعفت النتیجه فعزموا علی إخراج لوط وأهل بیته من قریتهم، قال تعالی:

((وَمَا کَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْیَتِکُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ یَتَطَهَّرُونَ))(۳).

۱- سوره المائده، الآیه: ۵۰.

۲- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص ۱۳۷ و ۱۳۸. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج ۲۹، ص۲۲۶.

۳- سوره الأعراف، الآیه: ۸۲.

وفى قوم ثمود كانت هذه السنه من أظهر السنن التاريخيه؛ إذ منّ الله } عليهم بآيه بينه وحجه قطعيه فى كون صالح عليه السلام هو نبى الله قد أرسله إليهم حينما أخرج لهم من الصخره ناقه يتبعها فصيلها.

فلما تمادى بعض قومه عليه السلام فكذبوه وأنكروا هذه الآيه الإلهيه والمعجزه الربانيه، بدأت هذه السنه التاريخيه بالظهور؛ وهى مضاعفه النتيجه فكان انعكاسها على سلوكهم أن عقروا الناقه وفصيلها، ثم تتضاعف النتيجه وتتسع دائره أضرارها وانحدارها بأن تحدوا الله ورسوله وطلبوا نزول العذاب، اعتقادا منهم بعدم صدق نبيهم، على الرغم من ظهور الناقه من صخره صماء ملساء يتبعها فصيلها.

قال تعالى:

((وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))(١).

((قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِى آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا

١- سوره الأعراف، الآيه: ٧٣.

بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَهُ فَأَصْبَحُوا فِی دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)) (١).

فعلی الرغم من ظهور هـذه الآـيه العظيمه إلاـ أنّهم كانوا ينكرون ويسـتكبرون فی الأرض ويتمادون فی الباطل، وهم لا يـدركون أنها سنه كونيه جرت فی الماديات، كما تجری فی السلوكيات البشريه.

ولـذلك تـذكرهم الزهراء عليها السـلام بأن عنـدهم آيه الله } ومعجزه النبوه التی تصـدهم عن الضـلال والتردی، لكن مقـدمات الفتنه كانت قد سرت فيهم لتتسارع معها سنه مضاعفه النتائج.

قالت عليها السلام:

«فهيهـات منكم، وكيف بكم، وأنّى تؤفكون، وكتـاب الله بين أظهركم، أموره ظـاهره، وأحكـامه زاهره وأعلاـمه باهره، وزواجره لايحه، وأوامره واضحه، وقد خلفتموه وراء ظهوركم. أرغبه عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟.

((بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)) (٢)،((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِی الْآخِرَهِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (٣)»(۴).

١- سوره الأعراف، الآيه: ٧٥ ٧٨.

٢- سوره الكهف، الآيه: ٥٠.

٣- سوره أل عمران، الآيه: ٨٥.

۴- الاحتجـاج للطبرسـی: ج ١، ص ١٣٧. بحـار الأـنوار للعلاـمه المجلسـی رحمه الله: ج ٢٩، ص ٢٢٥، البـاب ١١. دلائـل الإمام لمحمد بن جرير الطبری الإمامی: حديث فدک ص ١١۶.

المسأله الثالثه: سنه تعجيل العذاب

هذه السـنه التاريخيه ترتبط مع سنه مضاعفه النتائج ارتباطا كبيرا؛ إذ يجرّ هذا التسارع فى مضاعفه النتائج إلى حلول الدمار ونزول العذاب بصوره متناسقه فيما بين هاتين السنتين ككره الثلج، كلما كبرت تسارعت وتضاعفت معها الأضرار.

تقول عليها السلام:

«فدونكموها فاحتقبوها دبره الظهر، نقبه الخف، باقيه العار، موسومه بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصوله ب:

((نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَهُ (۶) الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَهِ))(١).

فبعين الله ما تفعلون.

((وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ))(٢).

وأنا ابنه نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون»(٣).

ففى الوقت الذى تأخذ فيه السنن التاريخيه استحقاقها من المجتمعات البشريه سواء أكانت نتائج الأفعال إيجابيه أم سلبيه؛ فإن من توابع هذه السنن أن ينتظر المظلوم ما يحل بالظالم من خاتمه لحياته.

كما أن صاحب الحق يكون مطمئناً بما ستؤول إليه عاقبه أمره، ولذا فهو فى شوق وترقب لبلوغ نتائج السنن.

١- سوره الهمزه، الآيه: ۶ ٧.

٢- سوره الشعراء، الآيه: ٢٢٧.

٣- الاحتجاج للطبرسى: ج ١، ص ١۴١.

المسأله الرابعه: سنه انقلاب الأمم بعد أنبيائها

من السنن التاريخيه التى وقعت فى الأمم السابقه هى سنه انقلاب الناس بعد غياب أنبيائها أو موتهم؛ ويظهر أن هذه السنه التاريخيه كانت قد وقعت فى بنى إسرائيل قبل موت موسى عليه السلام مما يكشف عن حجم هذه الفتنه وأثر هذه السنه.

ويبدو أن الحكمه فى تذكير النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بتاريخ بنى إسرائيل وما وقع فيهم من السنن الإلهيه كان لأجل أن يحذر أمته من السير على نهج بنى إسرائيل؛ إلا أن الأمر الذى أراده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتحقق له.

ولذلك نجد أن هذه الأمه قد حذت حذو بنى إسرائيل فى انقلابها على أعقابها، غير أن الفارق بين الأمتين أن أمه بنى إسرائيل انقلبت فى حياه نبيها موسيعليه السلام، وأن هذه الأمه انقلبت بعد موت نبيها صلى الله عليه وآله وسلم والفارق أيضا: أن موسى عليه السلام لم يكن يعلم ماذا سيجرى بعده أثناء غيابه وذهابه لميقات ربه، بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم بما سيؤول إليه أمر أمته من بعده؛ ولطالما صرح بذلک.

أما عدم علم موسى عليه السلام فقد أظهره القرآن.

قال تعالى:

((وَمَا أَعْجَلَکَ عَنْ قَوْمِکَ یَا مُوسَی (۸۳) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَی أَثَرِی وَعَجِلْتُ إِلَیْکَ رَبِّ لِتَرْضَی (۸۴) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَکَ مِنْ بَعْدِکَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِیُّ)) (۱).

۱- سوره طه، الآیه: ۸۳ ۸۵.

وأما علم النبی المصطفی بحال قومه من بعده فقد صرح به القرآن الکریم فی قوله تعالی:

((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ))(١).

وأظهرته السنه، فقد روی البخاری فی صحیحه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«إنکم تحشرون حفاه عراه.

إلی أن یقول :

وأناسا من أصحابی فیؤخذ بهم ذات الشمال!! فأقول أصحابی أصحابی، فیقال إنهم لم یزالوا مرتدین علی أعقابهم منذ فارقتهم....»(٢).

وروی مسلم فی صحیحه، عن الأعمش، عن شقیق، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«أنا فرطکم علی الحوض ولأنازعن أقواما ثم لأغلبن علیهم فأقول یا رب أصحابی أصحابی فیقال إنک لا تدری ما أحدثوا بعدک»(٣).

١- سوره آل عمران، الآیه: ١۴۴.

٢- صحیح البخاری: ج ۴، ص ١١٠. مسند أحمد بن حنبل: ج ۶، ص ۵٣. المستدرک للحاکم النیسابوری: ج ٢، ص ۴۴٧.

٣- صحیح مسلم: کتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبینا صلی الله علیه وآله وسلم، ج ٧، ص ۶٨. مسند أحمد بن حنبل: ج ١، ص ٣٨۴. کنز العمال للمتقی الهندی: ج ١۴، ص ۴١٨، المبعث والحشر، الحوض.

وفی لفظ آخر أخرجه أحمد بن حنبل، عن أبی سعید الخدری عن النبیصلی الله علیه وآله وسلم:

«فأقول أصحابی أصحابی فیقال إنک لا تدری ما أحدثوا بعدک.

قال فأقول:

سحقا سحقا لمن بدل بعدی»(۱).

أما بضعه النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم فقد کشفت الأمر علی حقیقته القرآنیه والواقعیه، لأنها عاشت هذه اللحظات التی أعقبت وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وجرت فیها هذه السنه التاریخیه، فقالت علیها السلام وقد خصت الأنصار فی خطابها فتوجهت إلیهم قائله:

«یا معشر النقیبه(۲) وأعضاد المله وحضنه الإسلام، ما هذه الغمیزه(۳) فی حقی والسنه(۴) عن ظلامتی؟ أما کان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أبی یقول (المرء یحفظ فی ولده)؟»(۵).

وهنا:

تجمع الزهراء علیها السلام بین حرکه التاریخ لمسار الأنصار فی حیاه النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم وحرکه التاریخ لمسارهم بعد وفاته صلی الله علیه وآله وسلم.

۱- مسند أحمد بن حنبل: ج ۵، ص ۳۳۳. صحیح البخاری، کتاب الفتن: ج ۸، ص ۸۷. الإیضاح لفضل بن شاذان الأزدی: ص ۲۳۳. إمتاع الأسماع للمقریزی: ج ۱۴، ص ۲۲۳.

۲- النقیبه: الفتیه.

۳- الغمیزه: بفتح الغین المعجمه الزای ضعفه فی العمل.

۴- السِنه: النوم الخفیف.

۵- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص ۱۳۹. الانتصار للعاملی: ج ۷، ص ۳۷۳.

ثم تنطلق من هذا البيان إلی تحرک السنن التاریخیه فی أمه أبیها صلی الله علیه وآله وسلم، فتقول:

«سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهاله(۱) ولکم طاقه بما أحاول، وقوه علی ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد صلی الله علیه وآله وسلم؟ فخطب جلیل: استوسع وهنه(۲) واستنهر(۳) فتقه وانفتق رتقه، واظلمت الأرض لغیبته، وکسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصیبته، وأکدت الآمال(۴)، وخشعت الجبال، وأضیع الحریم، وأزیلت الحرمه عند مماته، فتلک والله النازله الکبری، والمصیبه العظمی، لا مثلها نازله، ولا بائقه(۵) عاجله، أعلن بها کتاب الله جل ثناؤه، فی أفنیتکم، وفی ممساکم، ومصبحکم، یهتف فی أفنیتکم هتافا، وصراخا، وتلاوه، وألحانا، ولقبله ماحل بأنبیاء الله ورسله، حکم فصل، وقضاء حتم:

((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَی أَعْقَابِکُمْ وَمَنْ یَنْقَلِبْ عَلَی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّ اللَّهَ شَیْئًا وَسَیَجْزِی اللَّهُ الشَّاکِرِینَ)) (۶)»(۷).

۱- إهاله:بکسر الهمزه:الدسم،وسرعان ذا إهاله:مثل یضرب لمن یخبر بکینونه الشیء قبل وقته.

۲- وهنه الوهن: الخرق.

۳- واستنهر: اتسع.

۴- أکدت: قل خیرها.

۵- بائقه: داهیه.

۶- سوره آل عمران، الآیه: ۱۴۴.

۷- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص ۱۳۹ ۱۴۰. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج ۲۹، ص ۲۲۷. أعیان الشیعه لسید محسن الأمین: ج ۱، ص ۳۱۷.

المسأله الخامسه: سنه ظلم آل الأنبياء عليهم السلام وآثارها على الأمه

إن جميع السـنن الكونيه التى سـنها الله تعالى ولاسيما السنن التاريخيه تكون مصحوبه بمجموعه من الآثار حال وقوعها، وقد نجد أن بعض هـذه السـنن لهـا قـابليه الـدفع بآثارهـا إلى أزمنه متعـاقبه، بـل يظهر أن بعض السـنن لها ديمومه هائله فى المحافظه على آثارها ما دامت هناك حياه على الأرض، أى أن هذه الآثار باقيه ببقاء الليل والنهار، ومستمره باستمرار البشريه، وهذا يكشف عن عظم هذه السنه التاريخيه الإلهيه وخطوره الوقوع فيها.

ومن أبرز هذا النوع من السنن، هى سنه ظلم آل الأنبياء عليهم السلام.

ويختلف نوع الظلم النـازل بأنبيـاء الله تعالى حسب الظروف التى ينشأ فيها الظلم والأفراد والزمان والمكان، إلا أنّ من أكبر ما يقع على الأنبياء من الظلم هو ما يصيب أبناءهم، لما وضعه الله تعالى من عاطفه خاصه وعلاقه حميمه بين الآباء والأبناء.

وحينما يسـتعرض القرآن أنواع الأذى الـذى أصاب الأنبياء عليهـم السـلام وما تبعه من آثار على الأمم نجده يقدم ثلاثه أنواع من الأذى، وهى (الأذى العقائدى، والأذى الجسدى، والأذى النفسى.

فالنوع الأول انحصر فى تكذيبهم والاستهزاء بهم واتهامهم بالجنون.

وفى النوع الثانى انحصر الأذى فى التعرض إلى أجساد الأنبياء عليهم السلام من الضرب والجوع والقتل.

وفى النوع الثالث انحصر الأذى فى التعرض لآل الأنبياء وأرحامهم ومن آمن بهم.

أما آثار النوع الأول من الأذى فقد أظهره القرآن فى قوله تعالى:

((فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ))(١).

وهم قوم هود عليه السلام. وفى قوم شعيباً عليه السلام وهم أصحاب الأيكه قال }:

((فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ))(٢).

وفى قوم مدين حينما كذبوا شعيب عليه السلام قال تعالى:

((فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ))(٣).

ويلاحظ فى هذه الآيه وغيرها التى تبين السنن التاريخيه الإلهيه فى الأمم السابقه أن هذا البلاء حينما يقع على الأمم يكون فى حياه الأنبياء عليهم السلام فيبيد الله تعالى هذه الأمم الظالمه وينجى أنبياءه عليهم السلام ثم يرسلهم الله تعالى إلى أمه أخرى وقوم آخرين كما تحدثت الآيات عن شعيب عليه السلام أو خروج لوط من قريته أو انتقال إبراهيم عليه السلام من العراق إلى بيت المقدس ثم إلى مكه وهكذا.

وفى صوره النوع الثانى من الأذى، وهو الأذى الجسدى وما يتبعه من آثار على الأمه فقد أظهره القرآن فى قوله تعالى:

((ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ))(٤).

١- سوره الشعراء، الآيه: ١٣٩.

٢- سوره الشعراء، الآيه: ١٨٩.

٣- سوره العنكبوت، الآيه: ٣٧.

٤- سوره آل عمران، الآيه: ١١٢.

وفی صوره النوع الثالث من الأذی الذی ینزل بالأنبیاء علیهم السلام وما یتبعه من آثار، قال تعالی:

((فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِیثَاقَهُمْ وَکُفْرِهِمْ بِآیَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِیَاءَ بِغَیْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَیْهَا بِکُفْرِهِمْ فَلَا یُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِیلًا (۱۵۵) وَبِکُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَی مَرْیَمَ بُهْتَانًا عَظِیمًا)) (۱).

فهذه السنه التاریخیه وما ارتبط بها من آثار تفاوتت فی حجمها وسعتها ودوامها وقوه تأثیرها؛ قد جرت فی هذه الأمه الإسلامیه بعد وفاه نبیها صلی الله علیه وآله وسلم بصورها الثلاث.

إلا أن الفارق بین الأمم السابقه وهذه الأمه یکمن فی الأمور الآتیه:

۱ أن نبی هذه الأمه صلی الله علیه وآله وسلم وجوده یرفع العذاب عن الخلق، أی ما دام حیا فإن العذاب لا ینزل بأمته وإن کذبوه ورضخوه بالحجاره وأدموه وجوّعوه وهجّروه وآذوا أهل بیته وقتلوا رحمه کحمزه بن عبد المطلب وما قامت به هند زوجه أبی سفیان من التمثیل بجسده، وقتل جعفر بن أبی طالب وعبیده بن الحارث بن عبد المطلب، ناهیک عن الأذی البالغ الذی کان ینزله المنافقون برسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وأمور أخری کثیره یطول ذکرها.

إذن: وجوده صلی الله علیه وآله وسلم بین أمته کان یرفع عنهم العذاب.

قال تعالی:

((وَمَا کَانَ اللَّهُ لِیُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِیهِمْ))(۲).

۱- سوره النساء، الآیه: ۱۵۵ ۱۵۶.

۲- سوره الأنفال، الآیه: ۳۳.

۲ لکونه الرحمه التی أرسلها الله للعالمین، ووجود الرحمه یرفع العذاب وإن وقع الأذی علیه صلی الله علیه وآله وسلم قال تعالی:

((وَمَا أَرْسَلْنَاکَ إِلَّا رَحْمَهً لِلْعَالَمِینَ))(۱).

۳ لکونه صلی الله علیه وآله وسلم لم یدعُ علی قومه علی الرغم من إیذائهم له، وکان یقول بأبی وأمی :

«اللهم اهد قومی فإنهم لا یعلمون»(۲).

لکن الأمر بعد موته اختلف کلیا، فقد رفعت تلک السنن والقوانین الإلهیه التی جعل الله قیامها وحرکتها بوجوده صلی الله علیه وآله وسلم، أی: تحرک السنن التاریخیه التی جرت فی الأمم السابقه فیما قدموا علی ظلم الأنبیاء علیهم السلام وتغلغل آثار هذه السنن ونفوذها فی حال وقوعها.

وهو الأمر الذی أظهرته بضعه النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم حینما توجهت بخطابها إلی الأنصار خاصه، فقالت علیها السلام

:

أیّها بنی قیله! أأهضم تراث أبی وأنتم بمرأی منی ومسمع، ومبتدأ ومجمع؟ تلبسکم الدعوه، وتشملکم الخبره، وأنتم ذوو العدد والعده، والأداه والقوه، وعندکم السلاح والجنّه، توافیکم الدعوه فلا تجیبون، وتأتیکم الصرخه فلا تغیثون، وأنتم موصوفون بالکفاح، معروفون

۱- سوره الأنبیاء، الآیه: ۱۰۷.

۲- العقد النضید والدر الفرید لمحمد بن الحسن القمی: ص ۵۱، ح ۳۷. تاریخ مدینه دمشق لابن عساکر: ج ۶۲، ص ۲۴۷، برقم ۷۹۳۲. الدر المنثور لجلال الدین السیوطی: ج ۳، ص ۹۴. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج ۲۱، ص ۱۱۹، ح ۱۷. ذکر أخبار إصبهان للحافظ الإصبهانی: ج ۲، ص ۱۴۹.

بـالخير والصـلاح، والنجبه التى انتجبت، والخيره التى اختيرت، قـاتلتم العرب، وتحملتم الكـد والتعب، ونـاطحتم الأـمم، وكافحتم البهم، فلاـ نـبرح أو تـبرحون، نـأمركم فتـأتمرون، حتى إذا دارت بنـا رحى الاسـلام، ودر حلب الأيـام، وخضـعت ثغره الشـرک، وسـكنت فوره الإفك، وخمـدت نيران الكفر، وهدأت دعوه الهرج، واسـتوسق نظام الدين، فأنى حرتـم بعد البيان، وأسـررتـم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الاقدام، وأشركتم بعد الايمان.

((أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))(۱).

ألا وقـد أرى أن قـد أخلـدتم إلى الخفض، وأبعـدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالـدعه، ونجوتم من الضـيق بالسعه، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذى تسوغتم، ف:

((وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ)) (۲)»(۳).

ويظهر هنـا فى كلامها عليها السـلام: تقـديم الحركه التاريخيه لمسير الأنصار فى حياه رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وبعد ممـاته مع وقوع السـنن التاريخيه، ولاسـيما سـنه ظلم الأنبياء عليهم السـلام فى أنفسـهم ممثلا ذلک فى آل الأنبياء عليهم السـلام؛ وبخاصه أنها ابنته الوحيده

۱- سوره التوبه، الآيه: ۱۳.

۲- سوره إبراهيم، الآيه: ۸.

۳- الاحتجاج للطبرسى: ج۱، ص۱۴۰. بحار الأنوار للعلامه المجلسى رحمه الله: ج۲۹، ص۲۲۸.

التی خصـها بخصائص عدیده تکشف عن مدی قربها من شـخص النبی الأعظم صـلی الله علیه وآله وسلم، فهی قلبه وروحه التی بین جنبیه مع اختصاصـها بموصول الأـذی والغضب والرضـا بشـخص النـبی الأـکرم صـلی الله علیه وآله وسـلم، کمـا دلت علیه النصوص المتضافره، والمشهوره عند المسلمین.

ومع علمهم بما خصـها الله تعالی من الکرامه والارتباط برسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وما یترتب علی إیذاء رسول الله من آثار خاصه تتناسب مع مقامه وکرامته عنـد الله تعالی، إلا أن ذلک لم یکن بحائل ولا مانع لهم من إیـذائها علیها السـلام، لیناولوا بذلک ما اقترن بهذه السنه التاریخیه من آثار خاصه کشفتها لهم الزهراءعلیها السلام فقالت:

«ألا وقد قلت ما قلت علی معرفه منی بالخذله(۱) التی خامرتکم(۲)، والغدره التی استشعرتها قلوبکم، ولکنها فیضه النفس، ونفثه الغیظ، وخور(۳) القنا(۴)، وبثه الصدر، وتقدمه الحجه.

فدونکموها فاحتقبوها(۵) دبره(۶) الظهر، نقبه الخف(۷)، باقیه العار، موسومه بغضب الله وشنار الأبد، موصوله ب:

۱- الخذله: ترک النصر.

۲- خامرتکم: خالطتکم.

۳- الخور: الضعف.

۴- القنا: الرمح؛ والمراد هنا من ضعف القنا، ضعف النفس عن الصبر علی الشده.

۵- فاحتقبوها: فاحملوها علی ظهورکم.

۶- دبره: دبر البعیر، أصابته الدبره بالتحریک وهی جراحه تحدث من الرجل.

۷- نقبه الخف: نقب خف البعیر رق وثقب.

((نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (۶) الَّتِی تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَهِ)) (۱).

فبعین الله ما تفعلون.

((وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ))(۲)«(۳).

المسأله السادسه: سنه رین القلوب بین الأسباب والنتائج

من السنن التاریخیه التی عرضها القرآن مجملا ومفصلا هی سنه رین القلوب، فمن حیث المجمل یذکر القرآن الأسباب التی تؤدی إلی تکون هذه السنه وآثارها ممثلا ذلک بالنتائج.

قال تعالی:

((وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۱۰) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (۱۱) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (۱۲) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (۱۳) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (۴).

وذکرها القرآن مفصلا فی سیر حدیثه لنتائج تکذیب الأنبیاء علیهم السلام ویظهر من العرض المجمل والمفصل لهذه السُنه التاریخیه أن الأساس فی تکونها هو التکذیب بما جاءت به الأنبیاء علیهم السلام إلی أقوامهم فیلحقه التکذیب بالیوم

۱- سوره الهمزه، الآیه: ۶ ۷.

۲- سوره الشعراء، الآیه: ۲۲۷.

۳- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص ۱۴۱. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج ۲۹، ص ۲۲۹. مناقب آل أبی طالب لابن شهر آشوب: ج ۲، ص ۵۰.

۴- سوره المطففین، الآیه: ۱۰ ۱۴.

الآخر، لیصل إلی ذروته فی حجب الأذن عن کل موعظه أو إنذار أو تحذیر أو آیه أو معجزه فیکون عند ذلک الرین علی القلوب أی حجبها وصدأها وموتها عند ذلک فلا حیاه لها.

وإذا ما وصلت القلوب إلی تلک المرحله تمادت فی الظلم وظهر منها ما لم یظهر من أشد الوحوش قساوه وشراسه والعیاذ بالله.

ولذلک تتوجه صلوات الله وسلامه علیها فی بیانها لهذه السنه التاریخیه وما یعقبها من نتائج إلی عامه الناس من المهاجرین والأنصار والأعراب، لأن الأمر لم یتعلق بفئه محدده بل بقانون إلهی وسنه ربانیه جرت فی جمیع الأمم السابقه، وقد وقعت فی هذه الأمه.

فقالت علیها وعلی أبیها وعلی بعلها وولدها الصلاه والسلام:

«معاشر المسلمین المسرعه إلی قیل الباطل المغضیه علی الفعل القبیح الخاسر.

((أَفَلَا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَی قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)) (۱).

کلا بل ران علی قلوبکم ما أسأتم من أعمالکم، فأخذ بسمعکم وأبصارکم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشر ما منه اغتصبتم، لتجدن والله محمله ثقیلا وغبه وبیلا إذا کشف لکم الغطاء، وبان بأورائه الضراء، وبدا لکم من ربکم ما لم تکونوا تحتسبون، وخسر هنالک المبطلون»(۲).

۱- سوره محمد، الآیه: ۲۴.

۲- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص ۱۴۴.

المسأله السابعه: سنه الاستقامه فی السلوک

فی الوقت الذی کانت فیه فاطمه الزهراء علیها السلام تحذر المسلمین من الوقوع فی فم السنن التاریخیه التی توجدها السلوکیات المنحرفه فتقذف بها فی الهاویه والخسران المبین، کانت علیها السلام أیضا تذکر بالسنن التاریخیه التی تکون ولیده السلوکیات المستقیمه والمنضبطه بضوابط الشریعه المقدسه، وما تثمره من نتائج خیره تعود علی الإنسان بالسرور والخیر والبرکه فی الدنیا والآخره.

قالت علیها السلام:

«وما الذی نقموا من أبی الحسن علیه السلام؟! نقموا والله منه نکیر سیفه، وقله مبالاته لحتفه، وشده وطأته، ونکال(۱) وقعته، وتنمره(۲) فی ذات الله.

وتالله لو مالوا عن المحجه اللایحه، وزالوا عن قبول الحجه الواضحه، لردهم إلیها، وحملهم علیها ولسار بهم سیرا سجحا(۳)، لا یکلم(۴) حشاشه، ولا یکل(۵) سائره، ولا یمل راکبه، ولأوردهم منهلا نمیرا(۶)، صافیا، رویا، تطفح ضفتاه ولا یترنق جانباه ولأصدرهم بطانا، ونصح لهم سرا وإعلانا، ولم یکن یتحلی من الدنیا بطائل، ولا یحظی

۱- النکال: ما نکلت به غیرک کائنا ما کان.

۲- تنمر: عبس وغضب.

۳- سجحا: سهلا.

۴- یکلم، کلمه: جرحه.

۵- یکل: یتعب.

۶- النمیر: الأبیض.

منها بنائل(۱)، غیر ری الناهل، وشبعه الکافل، ولبان لهم: الزاهد من الراغب والصادق من الکاذب.

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))(۲). ((وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ)) (۳)»(۴).

وقد حددت علیها السلام آثار هذه السنه التاریخیه، أی سنه الاستقامه بالعوائد التالیه:

۱ الرد إلی الشریعه السمحاء، أی دفع الوقوع فی الشبهات.

۲ حمل الأحکام الشرعیه فیکون الناس فقهاء عرفاء بشریعتهم فلا وجود للجهل بینهم، أی رفع المستوی التعلیمی عند هذه الأمه لتکون کما أراد الله لها خیر أمه أخرجت للناس، ولکی تستطیع أن تمارس دورها الإرشادی للأمم. قال تعالی:

((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)).

۳ سهوله السیر فی متطلبات الحیاه سواء الدنیویه أو الأخرویه. وهو قولها «ولسار بهم سیراً سجحا».

۱- النائل: مثل الذی یعدو وعلیه حمل ینهض به، أی لم یکن یحتمل من الدنیا بحمل.
۲- سوره الأعراف، الآیه: ۹۶.
۳- سوره الزمر، الآیه: ۵۱.
۴- الاحتجاج للطبرسی: ج۱، ص۱۴۷ ۱۴۸. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج۴۳، ص۱۶۰.

۴ طبیعه هذا السیر وصفاته ثلاث.

ألف . عذوبه الحدیث.

باء . لا یتعب السائر من سیره.

جیم . ولا یمل الراکب من رکوبه.

۵ المکان الذی سیصلون إلیه فی هذا السیر الذی یسیرون به مع علی علیه السلام سیأخذهم من خلاله إلی مکان یتصف بصفات عده، وقد شبهته علیها السلام بالنهر الجاری دلاله علی العیش الرغید ومن صفاته:

أ. العذوبه.

ب. الصفاء.

ج. یروی من العطش.

د. الکثره.

ه.تطفح ضفتاه.

و. لا یتجمع الطین علی جوانبه.

ز. وأن الشارب من هذا الماء یصدر عنه، أی ینتقل عنه وهو ریّان.

۶ إن هذه السنه التاریخیه ومما تقدمه من ثمار وفوائد، مشروطه بأن یکون القائد أو الحاکم ناصحاً لرعیته فی السر والعلن.

ثم تنعطف علیها السلام إلی ثمار اتباع قول النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی التمسک بوصیه؛ فتذکر لهم صفات الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام بوصفه إماماً وحاکماً وراعیاً لهم کما مرّ .

المسأله الثامنه: سنه ترک التمسک بأحکام الله } بین المقدمات والنتائج

حینما بینت الزهراء علیها السلام سنه الاستقامه فی السلوکیات البشریه ونتائجها الإیجابیه علی الإنسان فی الدارین، تنتقل علیها السلام بعد ذلک لبیان العکس أی سنه ترک الاستقامه والتمسک بأحکام الله تعالی، وتُظهر أیضا مقدمات هذه السنه التاریخیه ونتائجها علی مصیر المجتمع الذی تجری فیه.

قالت علیها السلام:

«لیت شعری إلی أی أسناد استندوا؟! وإلی أی عماد اعتمدوا؟! وبأیه عروه تمسکوا؟! وعلی أیه ذریه أقدموا واحتنکوا(۱) لبئس المولی ولبئس العشیر، وبئس للظالمین بدلا»(۲).

حینما سارت هذه الأمه سیر الأمم السابقه ووقعت فی فم السنن التاریخیه التی مر ذکرها فکانت النتائج مضاعفه، والآثار مستمره فمن البدیهی أنها ستسیر نحو الهلاک والتمادی فی الظلم والضلال.

ولذلک:کانت تتعجب من هذا السلوک المتغیر بعد وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، بل تضع المقدمات لما هو أسوأ آثارا من جمیع السنن التاریخیه الأخری. فتقول علیها السلام:

«استبدلوا الذنابی والله بالقوادم، والعجز بالکاهل، فرغما لمعاطس قوم یحسبون أنهم یحسنون صنعا.

۱- احتنکوا: استولوا علیهم، أنظر: الصحاح للجوهری: ج۴، ص۱۵۸.

۲- الاحتجاج للطبرسی: ج ۱، ص ۱۴۸. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج ۴۳، ص ۱۶۰. صحیفه الزهراء علیها السلام، جَمَعَهُ الشیخ جواد القیومی: ص ۲۵۴.

((أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ))(١). ويحهم.

((أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ))(٢)»(٣).

أما النتائج المفجعه والفادحه لسلوك الأمه هذه السنه التاريخيه، فتظهرها لهم بضعه النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم، فتقول علیها السلام:

«أما لعمری لقد لقحت فنظره ریثما تنتج، ثم احتلبوا ملء القعب دما عبیطا وذعافا مبیدا، هنالک یخسر المبطلون، ویعرف التالون، غب ما أسس الأولون ثم طیبوا عن دنیاکم أنفسا، واطمئنوا للفتنه جأشا، وأبشروا بسیف صارم وسطوه معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمین، یدع فیئکم زهیدا، وجمعکم حصیدا، فیا حسره لکم، وأنی بکم، وقد عمیت علیکم، أنلزمکموها وأنتم لها کارهون»(۴).

هذا الکم الکبیر من المفاهیم والرؤی والتشخیص لحرکه التاریخ وسننه الذی ورد فی القرآن ومن العتره النبویه الطاهره علیهم السلام أعطی دفعا قویا لمن تتلمذ فی هذه المدرسه علی التخصص فی هذا الفن والإحاطه به.

١- سوره البقره، الآیه: ١٢.

٢- سوره یونس، الآیه: ٣٥.

٣- معانی الأخبار للشیخ الصدوق رحمه الله: باب معانی قول فاطمه علیها السلام، ص ٣٥٥. دلائل الإمام لمحمد بن جریر الطبری الإمامی: ص ١٢٧. أمالی الطوسی: ص ٣٧٥. الاحتجاج للطبرسی: ج ١، ص ١۴٨. بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج ۴٣، ص ١۵٨.

۴- بحار الأنوار للعلامه المجلسی رحمه الله: ج ۴٣، ص ١۶٠ ١۶١. الاحتجاج للطبرسی: ج ١، ص١۴٨.

بل قد شکل هذا التشخیص والدراسه لحرکه التاریخ والسنن التاریخیه من قبل القرآن والرسول الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم والإمام علیه السلام وبضعه النبی فاطمه الزهراء علیها السلام بخلق حاله متمیزه من الوعی التاریخی والنقد والفهم والدراسه الدقیقه والمتأنیه لما حدث وما یرتبط فی کینونته من الزمان والمکان والأفراد والرواه والدوافع والأسباب والنتائج.

نتیجه البحث

یمکن أن نجمل نتیجه البحث فی النقاط الآتیه:

۱. حرکه التاریخ وسننه عند المسلمین قد اکتسبت مادتها ومعانیها ودلالاتها من القرآن والعتره علیهم السلام.

۲. ان عرض القرآن الکریم للوقائع التاریخیه الأممیه کان یراد به بناء هذه الأمه وسلامه سیرها من الوقوع فی فخ تلک السنن التی فتکت بالأمم السابقه فلم یبقَ منها سوی الاطلال وأعمده بناء متعریه تحیطها أکوام من الحجاره المتناثره، أمّا نتاجها العلمی فهو منوط بأفراد استفادوا من تاریخ أسلافهم فاتعظوا به فلزموا أخیارهم ونبذوا فجارهم.

۳. إن هذه الأمه لم تتعظ بتلک السنن التاریخیه للأمم السالفه ولم تلتفت إلی تحذیرات نبیّها صلی الله علیه وآله وسلم ولم تلتزم بمناهی قرآنها فاتبعت سنن من کان قبلها حذو النعل بالنعل؛ بل لقد أحدثوا سنناً جدیده لم تصل إلیها عقول الأمم السابقه فظهرت فیها نتائج خلفت تلک المقدمات السننیه فکانت آثارها جسیمه وردودها متعاظمه.

۴. ان حرکه التاریخ وسننه عند أمیر المؤمنین علیه السلام اتسمت بالإحاطه التامه

بتلك السنن وبيان العامل المشترك فی وقوعها وتشخيص نتائجها وتوضيح غرض ذكرها وتذكير الناس بها.

۵. ان حركه التاريخ عند سيده النساء فاطمه عليها السلام امتازت عن القرآن فی تحديد نقطه بدء الحركه التاريخيه لتلازم الزمن فی ديمومه التاريخ. قبل تشخيصها للسنن الأمميه، لكونها من توابع الحركه التاريخيه.

۶. تفردها عليها السلام فی بيان حركه تاريخ النبوه وتلازم هذا البيان مع مكنون القرآن مع إظهار العله فی جعل الخليفه قبل الخليقه.

۷. بيانها لانجازات حركه تاريخ النبوه الكونيه وشهوديه النبی الأعظم علی الأمم السابقه.

۸. تشخيصها لمعالم حركه تاريخ العرب قبل الإسلام مع اتساع عين التاريخ علی خصوصيات الأمه العربيه وأنماط حياتها الاجتماعيه وتحديد سلوكيات أفرادها.

۹. بيان انجازات الحركه التاريخيه لسير النبوه وإظهار معاناتها وتحديد قابليات الناس واستعداداتهم الذهنيه والروحيه للتعاطی مع النبوه والاعتقاد بها.

۱۰. تحديدها لوجود مسارين للحركه التاريخيه فی حياه النبی الأعظم وتعاظم هذين المسارين بعد وفاته صلی الله عليه وآله وسلم.

۱۱. ان السنن التاريخيه عند سيده النساء انحصر بيانها فيما يخص هذه الأمه وان هذه الأمه هی أسرع الأمم وقوعاً فی فخ السنن التاريخيه.

۱۲. ابتداء وقوع السنن التاريخيه فی هذه الأمه قبل ان يدفن رسول اللهصلی الله عليه وآله وسلم.

مع تشخيصها لبذور الفتنه والتی تعد أول مقدمات السنن التاريخيه التی أهلكت الأمم السابقه.

١٣. إن بيان السـنن التاريخيه عنـد سـيده النساء لم ينحصـر فی عرض السـنن التی أهلكت الأمم السابقه بل عرضت وبينت السـنن التاريخيه التی تحيی الأمم وتحفظها وتدر عليها الخير والأمن والأمان والرخاء.

١۴. إن هذه الأمه لو لزمت ما أمرها الله تعالی ورسوله به لأكلت من خير السـماء والأرض ولسادت الدنيا وأصلحتها لكنها لم تلزم عهد الله كما فعل بنو إسرائيل حينما نقضوا إيمانهم وما عاهدوا الله عليه. قال تعالی:

((يَا بَنِی إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِی أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّایَ فَارْهَبُونِ))(١).

وفی أهل مكه يقول القرآن:

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَی آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))(٢).

فهذا ما خاطبت به سـيده نساء العالمين عليها السـلام فی مسجد رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم المسلمين لتحذرهم من السير علی نهج الأمم السابقه.

فهل من نذير؟!.

١- سوره البقره، الآيه: ۴٠.

٢- سوره الأعراف، الآيه: ٩۶.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ١۴٢۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلی التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلی أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب علی تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزی
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵
هاتف المكتب في طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱
قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.


WWW